

## الفصل الحادى عشر

### السياسة الخارجية

قبل محاولة فهم وتوضيح السياسة الخارجية الإيرانية وعملية صناعة القرار يبدو من الضروري التطرق إلى مفاهيم السياسة الخارجية والتي تتمثل فى :  
ل السياسة الخارجية Foreign Policy وتتعلق بالأهداف والسياسات المعلنة للدولة تجاه القضايا العالمية والإقليمية والمؤسسات الدولية والحكومية وغير الحكومية.  
ل السلوك الخارجى Foreign Behavior ومربط بالفرس هنا الواقع العملى لعلاقات الدولة بالمؤسسات الدولية ومواقفها المختلفة فيما يتعلق بالقضايا والصراعات الدولية والإقليمية ،  
أى أن السلوك الخارجى ، لا ينظر إلى السياسات المعلنة على لسان المسؤولين على مختلف المستويات ، بل بما جرى الأخذ به فعلا على أرض الواقع . ولهذا فإن السلوك الخارجى هو الأهم .

ومن المعروف أن معظم الدول تسلك عمليا سلوكا مختلفا بشكل أو بآخر عن السياسة الخارجية التى يجرى الإعلان عنها . وهنا يبرز تأثير توافق وتناقضات المصالح وتعارضها على سياسة الدولة . وتدور عملية صناعة القرار بصفة عامة حول هدف رئيسى هو حماية المصالح والعمل على تعظيمها . ومثل هذه العملية المعقدة . تخضع لحسابات صعبة ودقيقة وفقا لوقف مصالح الدولة من مصالح الدول الأخرى وضغوط الواقع وقدرة هذه الضغوط على التأثير على القرار . ولا تتوقف الأجهزة والمراكز المهمة بصناعة القرار عن عملية التوفيق بين مصالح الدولة ومصالح الدول الأخرى . بحثا عن طريق يؤدى إلى الحرص على المصالح المشتركة كأولوية لعملية صناعة القرار واجراءات صنع القرار الخارجى Foreign Policy Process عملية فى غاية التعقيد دائما ، إذ تعتمد على عوامل كثيرة ومتداخلة منها نوع النظام الحاكم ، هل هو ديمقراطى محدود أم نخبوى تعاونى . أم نخبوى سلطوى وعلى موقع وقوة وحجم الدولة والقضايا الخارجية المراد مواجهتها وهى مهمة تكاد تكون يومية وفى تداخلات هذه العوامل نرى فى بعض الأحيان أن السلوك الخارجى للدولة يؤكد من

جانب الأهداف المعلنة بينما نجد في أحيان أخرى يأتي بصورة مختلفة كما قد تجده في مرة ثالثة توفيقيا. ويجب تأكيد ملاحظتين في هذا الصدد. الأولى هي أن الظاهرة السلوكية لا تقتصر على دول دون أخرى بل هي ظاهرة إجمالية تتصف بها جميع دول العالم والثانية هي أن السلوك الخارجي قد يتم فهمه على أنه مزدوج أو متناقض. ولكن الحقيقة غير ذلك حيث أن الكثير من القرارات الخارجية تأتي بصورة تكاملية ومتناغمة تعبر عن أهداف الدولة الحقيقية أو مقتضيات السياسة الداخلية.

ويمكننا القول هنا إن الدول على إطلاقها تعتمد عدة استراتيجيات كقواعد أولية في السياسة الخارجية والسلوك الخارجي قبل أي شئ آخر فالظاهرة السلوكية عند الدول بشكلها العام متعددة الأبعاد ولا يمكن أن تكون قراءتها ممثلة للحقيقة بذاتها. أكثر من أن تكون، في أفضل حالاتها، قريبة من فهم هذه الحقيقة.

وفيما يتعلق بإيران هناك خمسة عوامل تدخل في القرار وتؤثر على سلوك إيران الخارجي وهذه العوامل كالتالي:

#### الأول: العوامل القانونية والأيدولوجية:

وتتمثل في المواد الدستورية والقوانين الخاصة بالسياسة الخارجية، أما العوامل الأيدولوجية فتعني الخلفية الفكرية والنظرية للقيادة الإيرانية أي المرشد العام للثورة الإسلامية.

#### (أ) العوامل القانونية:

هناك بعض المواد الدستورية والقانونية التي يمكن أخذها بالحسبان عند دراسة السياسة الخارجية لإيران باعتبار أن هذه القوانين والمواد لا تمثل جانبا نظريا فقط. وإنما ذات تأثير عملي تدفع إلى توجهات معينة في سياق السياسة الخارجية. هذا عوضا عن كونها تمثل أوزاعا قانونيا للسلطة السياسية بشقيها التنفيذي والتشريعي لإجراءات سياسية خارجية. وأهم هذه المواد الدستورية تقع في الفصل العاشر حيث تقول المادة (١٥٢) بالاستقلال التام عن القوى الخارجية، والعلاقات السلمية مع الدول غير المحاربة، في حين تعطي المادة (١٥٤) الشرعية للعمل على حماية النظام المشروع للمستضعفين ضد المستكبرين في أية نقطة من العالم. كما تركز مواد أخرى على مقاومة النفوذ الأجنبي وطرده الاستعمار<sup>(١)</sup>.

(١) دستور الجمهورية الإسلامية في إيران (باللغة العربية) ترجمة الدكتور أذرشب. إصدار الإرشاد الإسلامي دائرة التخطيط والتنسيق للإعلام الخارجي. الطبعة الأولى. طهران.

أما بالنسبة للوائح القانونية المنظمة لعمل وزير الخارجية فنجد أن الفقرة رقم (٤) من القانون لسنة ١٩٨٣ تلزم وزير الخارجية بأن يقوم بمساعدة المستضعفين وخاصة المسلمين بكل الوسائل الضرورية للقيام بالدفاع عن أنفسهم ضد المستكبرين في كل أجزاء العالم من دون التدخل في الشؤون الداخلية للدول الأخرى وبناء على مقتضيات أهداف السياسة الخارجية والتنسيق مع الأجهزة الأخرى للبلاء<sup>(١)</sup>.

من هذه المواد الدستورية والقانونية نجد أنها أولاً تشجع العمل على دعم الحركات والدول التحررية في العالم والتي تقاوم النفوذ وأشكال الهيمنة الأجنبية وخاصة الغربية في كل مناطق العالم لا سيما في العالم الإسلامي. ثانياً نجد أن هذه المواد تنادى بعدم التدخل في الشؤون الداخلية للشعوب والدول الأخرى. ثالثاً. إنها تبقى القرار والخيار مفتوحاً لتقرير وقت وماهية التدخل وفقاً لمصلحة الدولة العليا ورؤية المسؤولين القائمين على معالجة السياسة الخارجية وبين العناصر الثلاثة السابقة تبقى مرونة كبيرة قد يدخل في جدياتها أطراف عديدون في إجراءات صنع القرار.

والنقطة الرئيسية بهذا الصدد هي أهمية الرؤية السياسية للقائمين على صنع السياسة الخارجية لتشخيص مصلحة الدولة وتفسير القضايا الخارجية واتخاذ اللازم نحوها. وأهمية هذه النقطة تنطلق من ترك الدستور والقانون الإيراني المجال مفتوحاً لاتخاذ سياسات متعددة تتدرج على طول طرفي الخط الممتد بين الواقعية والمثالية.

### (ب) العوامل الأيديولوجية:

المقصود بالعوامل الأيديولوجية الفلسفة السياسية للنظام في إيران والتي ترتبط بنظرة ولى الفقيه تجاه السياسة الخارجية. وقد وضع الخميني الأساس والإطار النظري لفلسفة النظام الإسلامى الحالى فى إيران. وأفضل من شرح ذلك الباحثان الإيرانيان الأصل والأمريكيان الجنسية. شيرين هنتر (S. Hunter) وروح الله رضاني (R. Ramazani).

تقول هنتر فى كتابها «إيران والعالم الاستمرارية فى العقد الثورى» (Iran and the World: Continuity in a Revolutionary Decade) إن محور تفكير الإمام الخميني فى السياسة الخارجية لا يقوم على النظرة الإسلامية التقليدية المؤسسة على مفهومى دار الحرب

(١) Afraslabi K.L. (1994) After Khomeini. New Directions in Iran's. Foreign Policy

Boulder, Co: Westriew

ودار السلام، وإنما على مفهومي المستكبرين والمستضعفين<sup>(1)</sup> ووفقا لهذه النظرة الجديدة لا يتوقف دور الدولة الإسلامية على حماية دار السلام أو الإقليم الإسلامي فحسب وإنما يشتمل أيضا على المساهمة في توحيد صفوف كل المناوئين للظلم والهيمنة العالمية في الدول الإسلامية أو غيرها مع إعطاء أولوية خاصة للمحيط الإسلامي. وهذه النظرة باعتقاد الكثير من علماء الدين في إيران تتلاءم مع الوضع الدولي المعاصر القائم على شكل الدول الحديثة الذي يختلف بوضوح عن وضع الدول في الأنظمة الدولية البائدة والتي كانت عبارة عن إمبراطوريات كبيرة مترامية الأطراف وقائمة على شرعية حماية العقيدة الدينية لمجتمعاتها. ويحاول البروفيسور روح الله رمضاني أن يرجع نظرية الإمام الخميني إلى أصول تتعلق بالثقافة الإيرانية والإسلام والقائمة على حتمية العدل في معانلتهم اليومية<sup>(2)</sup> وبصرف النظر عن مدى صحة هذا الادعاء إلا أن رمضاني في دراسته القيمة الأخرى: السياسة الخارجية الإيرانية: الأصول المتضاربة (Iran's Foreign Policy: Contending Orientations) يعطي صورة أشد إيضاحا عن مدى تقارب الأصول النظرية للأيديولوجية السياسية بالثقافة الإيرانية. وعلى هذا قام رمضاني بربط بعض المفاهيم الجديدة مثل سياسة التوازن (توازن) وعدم الانحياز (بيتارفي) بالجذور الثقافية والحضارية الفارسية القديمة<sup>(3)</sup> ويعتقد رمضاني أن نظرية ولي الفقيه في السياسة الدولية تحتوي على ثلاثة عناصر أساسية أولها، الرؤية التحديثية للتهديدات الخارجية غير المقتصرة على خارج حدود العالم الإسلامي ثانيا. مزج هذه الرؤية التحديثية بالأدبيات الإسلامية والثقافية الإيرانية حتى يكون هناك تفاعل جماهيري معها ثالثا، عالمية السياسة الإسلامية حيث أنها غير محددة بمساعدة الدول والشعوب الإسلامية بالرغم من أولويتها على غيرها من الشعوب في محاولة لحصر دول العالم الثالث والأقليات المضطهدة في رقعة سياسية واحدة لمواجهة السيطرة والنفوذ الغربي الليبرالي.

(1) Hunter, Shireen (1990), Iran and the World. Continuity in a Revolutionary Decade. Bolmington. Indiana university Press.

(2) Ramazani, R. K. (1990), Iran's Export of the Revolution: Politics Ends and means. In John Esposito (Ed), The Iranian Revolution. Miami: Florida International University Press.

(3) Ramazani, R. (1990), Iran's Export of the Revolution. Politics Ends and Means, P 50 In John Esposito The Iranian Revolution Its Global Impact. Miami, FL: Florida International University Press

أيضا انظر في الكتاب السابق دراسة بعنوان:

Farhang Rajace Iranian Idelog and World view. The Cultural Export of Revolution

ويعتد نجاح الثورة فى اقتلاع نظام الشاه يرى الإمام الخمينى أن هناك مسئولية أساسية لإيران فى مساندة الحركات والدول التحريرية ضد النفوذ الأجنبى وخاصة فى مجال التحرر من الهيمنة الثقافية. ومن هذا المنطلق أتت فكرة تصدير الثورة والتي أدت إلى مساجلات كبيرة بين المتخصصين فى الشئون الإيرانية والدولية عن مدى شرعيتها. وفى الحقيقة إنه على الرغم من إصرار الإمام الخمينى على ضرورة تصدير الثورة إلا أنه لا يرى بأن يكون هذا التصدير عن طريق الإكراه أو العنف أو الهيمنة. ولقد أدلى بهذا فى إحدى المناسبات عندما قال<sup>(1)</sup> إنه ليس عبر السيف تصدر الثورة. وتصدير الأفكار عبر الثورة لا يعتبر تصديرا كما يعتبر الكثير من المسئولين الإيرانيين إن تصدير الثورة يتوقف على النموذج الإسلامى الذى تستطيع أن تقدمه إيران لقبية دول وشعوب العالم وبطبيعة الحال فإن تصدير الثورة لم يخل من ممارسة العنف وبصورة انعكست على صورة إيران الخارجية بين الدول العربية وأبرزت دورها كدولة ترعى الإرهاب.

وبناء عليه فإن منصب ولى الفقيه يشكل أحد المحاور والأركان الأساسية المؤثرة على السياسة الخارجية المتعلقة بالقضايا العليا مثل الصلح مع اسرائيل والعلاقة مع الولايات المتحدة الأمريكية وإبرام معاهدات مع دول أجنبية والدخول فى الحرب. وتنطلق هذه المسئوليات من منصب ولى الفقيه الذى حدده القانون والدستور الإيرانى. فهو الرئيس الأعلى للقوات المسلحة وهو رئيس مجلس الدفاع الأعلى الذى يدخل فى عضويته رئيس الجمهورية ووزير الدفاع ورئيس أركان الجيش والحرس وأعضاء آخرين كما أن لولى الفقيه صلاحية إقرار منصب رئيس الجمهورية بعد فوزه بالانتخابات وحتى عزله بعد رأى مجلس الشورى الذى يجب أن يكون بأغلبية ثلاثة أرباعه أو بعد صدور حكم على رئيس الجمهورية من المحكمة العليا بعدم صلاحيته وكفاءته لتولى منصب الرئاسة. وهناك وظائف كثيرة تناط بولى الفقيه فهو إذن محور للنظام الإسلامى فى إيران وطبيعى أن تتأثر السياسة الخارجية بدوره ونظريته. وهكذا فإن الفلسفة السياسية الموجهة من ولى الفقيه لا يمكن الخروج عنها بأى حال من الأحوال.

### الثانى: العوامل الاقتصادية:

يعتبر العامل الاقتصادى من أهم العوامل المحركة للاتجاهات والتوجهات السياسية. هذه الحقيقة لا يمكن إغفالها أو تجاهلها عند مناقشة سياسة أى دولة مهما كانت طبيعتها

(1) Ramazani Rohulla (1984) spring. Iran's Foreign Policy. Contending Orientations. Middle East Journal 43 (2) 202 - 217.

وواقعها، وإيران ليست استثناء من هذه القاعدة، حيث يلعب الاقتصاد دورا حيويا في الحياة السياسية الإيرانية. بل إن المناقشات السياسية اليومية في طهران لا يمكن أن تخلو من مناقشة الأمور الاقتصادية كما إن الانعكاسات الاقتصادية بالغة التأثير على مسار العلاقة بين السلطتين التنفيذية والتشريعية. هذا بالإضافة إلى أن المحور الأساسي للمعارضة السياسية داخل إيران ينطلق من أساسيات الفلسفة والسياسة الاقتصادية للدولة، حتى بلغ الأمر أن تكون أنشطة الجماعات السياسية متأثرة بالمسائل الاقتصادية.

وبعد تعرض إيران للحرب التي دامت ثماني سنوات جاءت المشاكل الاقتصادية من كل حذب وصوب لتؤثر في الواقع السياسي بعد الحرب بشكل درامي كبير. وتقدر إيران بأن خسائرها المباشرة وغير المباشرة من الحرب تعادل ٨٧١.٥ بليون دولار. بينما تقدر الأمم المتحدة الخسائر الإيرانية بحوالي ٩٧ بليون دولار. في ظل هذه الخسائر الباهظة نجد أن مجموع ميزانية إيران في جميع سنوات الحرب الثماني تعادل ١١٢ بليون دولار. وقد كلفت الحرب إيران دمار أكثر من ٦٠ مدينة و ٤٠٠٠ قرية بصورة كلية أو جزئية<sup>(١)</sup> هذا بالإضافة إلى الكثير من مهجري الحرب (جانك زادة) الذين يتجاوز عددهم خمسة ملايين نسمة تمت إعادة إسكانهم ورعايتهم خلال هذه السنوات العجاف.

في ظل هذه المعادلة الاقتصادية الحرجة لا يجد رجال السلطة في إيران إلا التركيز على ضرورة حل المعضلات الأساسية المتفرعة عن هذا الوضع المأساوي، والذي يزيد الوضع سوءا إن إيران لا تتمتع بعلاقة جيدة مع معظم الدول الصناعية المانحة للقروض ولا تستطيع المؤسسات المالية مثل البنك الدولي والبنك الدولي للإنشاء والتعمير وغيرها من المؤسسات المالية العالمية أن تمنح إيران القروض المالية بسبب هيمنة الدول الغربية وخاصة الولايات المتحدة عليها.

لذلك كان لزاما على المسؤولين الإيرانيين أن يفتحوا من جديد باب الحوار مع بعض الدول الغربية وخاصة الأوروبية في محاولة لخلق جو من التعاون والتفاهم المشترك. وهذا يتطلب أيضا فتح باب التعاون مع دول المنطقة لتغيير الانطباع السلبي من سياسة إيران<sup>(٢)</sup>.

(١) مرجع سابق Afraslabi, K.L. or cit

(٢) د.عبد الله يوسف مجلة السياسة الدولية.

يرى بعض الباحثين أن الاقتصاد الإيراني متقلب وغير ثابت ويلعب العامل الخارجى دورا رئيسيا فى المسار الاقتصادى بشكل عام. خاصة بعد أن تبنت الحكومة الأمريكية سياسة الاحتواء المزدوج والتي تمخض عنها الحظر التجارى على إيران وعلى الشركات العالمية التي تتعامل معها.

ولا يمكن إغفال تأثيره النسبى على الاقتصاد الإيراني وخاصة فى مجال صرف العملة الإيرانية وتبعياتها الاقتصادية السلبية على مستويات التصدير للصناعات غير النفطية وليس المقصود هنا تقييم مسار الاقتصاد الإيراني بقدر معرفة أثره على السياسة الخارجية. ومن الطبيعى إنه وفق هذا التآرجح الاقتصادى بين الركود والنجاح فإن الحكومة الإيرانية تتطلع إلى فتح كل منفذ ممكن نحو العالم الخارجى لتقوية موقفها الاقتصادى مما يجعلها مرنة إلى حد كبير فى سياستها الخارجية خاصة مع الدول الخليجية والآسيوية فنجد على سبيل المثال أن المسؤولين الإيرانيين يتحدثون عن استعداد بلادهم لإقامة علاقات اقتصادية وتعاونية مع دول الخليج، وعلى صعيد خليجى آخر فإن إيران تحرص كذلك على التعاون الاقتصادى مع الكويت أما على الصعيد الآسيوى فإن إيران تبذل جهدا كبيرا فى توثيق علاقتها الاقتصادية مع دول وسط آسيا والقوقاز والذى أسفر عن قيام منظمة التعاون الاقتصادى وفتح طريق سكك حديدية سميت بطريق الحرير وتعمل إيران على موازنة سياستها الخارجية وإعادة غربة وتقييم بعض المفاهيم السياسية والتي تثير حفيظة هذه الدول والتي قد تمنعها من الدخول فى أى مشاركة اقتصادية معها وبعد عقد مؤتمر الدول الإسلامية فى طهران تحاول الأخيرة جذب الدول الإسلامية الفاعلة سياسيا واقتصاديا.

### الثالث: التيارات السياسية:

تعتبر إيران من المجتمعات المعقدة فى تركيبها الاجتماعية والسياسية وأكثر المصطلحات انطباقا على المجتمع الإيراني هو المجتمع الموزايقى وفى هذا الوصف يجب التفريق بين مفهومي الفئات الاجتماعية والأحزاب السياسية.

فليس بالضرورة أن يكون كل حزب سياسى معبرا عن طبقة اجتماعية بذاتها والعكس صحيح كذلك لذلك يجب عند دراسة التيارات السياسية تعريف الفئات الاجتماعية والأحزاب السياسية بشكل اجتماعى حتى يمكن الوقوف على تداخلاتها وتتمكن من قياس تأثيرها السياسى وبالأخص على السياسة الخارجية للدولة.

## (أ) الفئات الاجتماعية<sup>(١)</sup>

١ - علماء الدين :

ينقسم علماء الدين إلى فئات وأنواع كثيرة وذلك لتعدد المدارس الفلسفية والفكرية التي تمتاز بها الحوزة العلمية والتي تعتبر المدرسة الدينية للمذهب الجعفري. ولكن بشكل عام يمكننا أن نركز على نوعين رئيسيين وهما :

**النوع الأول:** ويشمل علماء الدين الذين يرون العمل السياسي من الأولويات الأساسية لمسئوليات رجل الدين. ولهذه الفئة رصيد ضخم من المساجلات والمساهمات السياسية في التاريخ السياسي لإيران وخاصة منذ بداية القرن العشرين حيث أسهموا في الثورة الدستورية في عام ١٩٠٥ أو ما يسمى بالمشروطة<sup>(٢)</sup>. ويتصدر قائمة هذه الفئة من المعاصرين الإمام الخميني وآية الله مطهرى، وآية الله بهشتى وآية الله طالقانى. وآية الله موسى آرد بيللى والرئيس الإيراني السابق الشيخ رفسنجاني، ومرشد الثورة الإسلامية الحالى آية الله خامنئى وآية الله شريعتمدارى، وآية الله روحانى وغيرهم.

**النوع الثانى:** وهم علماء الدين التقليديون الذين يتبنون العمل السياسى وبذلك فإنهم فى عزلة عن التصدى لمثل هذا العمل، ويقتصر دور هؤلاء العلماء على الفصول الفقهيّة والأعمال، الدينية البحتة ويقتصر عملهم الأساسى على التدريس فى الحوازات العلمية ورعاية أحوال أتباعهم الاجتماعية والدينية. ومن أمثال هؤلاء آية الله السيد موسى الزنجاني، وآية العظمى السيد مرعشى نجفى.

(١) لمعرفة المزيد والتفاصيل عند تعقيدات الفئات الاجتماعية فى إيران يمكن الرجوع إلى كتاب منصور معدن: الفئات والسياسة الأيديولوجية فى الثورة الإيرانية.

Moaddel, Mansoor (1993) Class, Politics and Ideology in Iranian Revolution  
New York: Coclumbia Ministry Press

وكتاب ميساغ بارسا. الأصول الاجتماعية للثورة الإيرانية

Pasra, Misagh (1989) Social Origins of Iranian Revolution. New Breunswick.  
N.J : Rutgers University Press.

(٢) المشروطة هى عبارة عن عقد سياسى تم اشهاره بعد اضطرابات سياسية أو الثورة الدستورية تمخض عنه دستور جديد فى عام ١٩٠٦ ينص على أن إيران ملكية دستورية وينص أيضا على وجود مجلس شيوخ يساهم فى اقتسام السلطة مع الملك. على أن ينظم مجلس الشيوخ من علماء الدين إلا أن العمل بهذا الاتفاق لم يتم حتى سنة ١٩٥٠. ولفترة وجيزة لتقوية مركز الشاه السياسى حينذاك، ومن علماء الثورة الدستورية آية الله طباطبائى وآية الله ميرزا حسين النائينى.

وليس هناك حد فاصل وواضح لنظرتهم الدينية لذلك فهم في بعض الأحيان يعطون آراء في المجالات السياسية متى ما كان ذلك ضرورياً أو ضمن مهماتهم المرجعية والدينية.

#### ٢ - الليبراليون:

وهم خليط من البرجوازية الصغيرة، والوطنيين القوميين والذين ظهوروا بمسميات متعددة منها حركة المقاومة الوطنية عام ١٩٥٤ والجبهة الوطنية الثانية عام ١٩٦٠ إلى ١٩٦٣ والجبهة الوطنية الثالثة عام ١٩٦٥، ويتفرع من هذه الفئة سياسيون كبار عرفهم التاريخ السياسى المعاصر لإيران من أمثال مهدي بازرگان، كما إنه من المعروف إن الرئيس الأول لإيران بعد الثورة بنى صدر وصادق قطب زاده وآية الله شريعتمدارى يتعاطفون مع طرح هذه الفئة، وتتمحور آراء هذه الفئة حول تحرير الاقتصاد وإعطاء المزيد من الحريات العامة والتقارب الأكثر من الغرب وخاصة الدول الأوروبية.

#### ٣ - اليساريون:

أغلب أفراد هذه الفئة من المثقفين الذين يتبنون إما جزئياً أو كلياً النموذج الماركسى فى بناء الدولة الحديثة، وتولد عن هذه الفئة أحزاب سياسية عديدة منها من يعمل على الساحة السياسية ومنها من اضمحل أو اندمج مع جماعات أخرى. ومن أمثال هذه الجماعات والأحزاب السياسية التى تتبنى مثل هذا الطرح حركة مجاهدى خلق (١٩٦٠)، وحزب تودة (١٩٤١) ومنظمة الشعب الفدائى الإيرانى (١٩٧١) الذين يعرفون بالفدائيين. ومن المعروف كذلك أن بعض المتبنين للطرح الماركسى غير منظمين فى تيارات سياسية واضحة ولكنهم ينخرطون فى جماعات وتيارات سياسية متباينة.

#### ٤ - التجار (البازار):

يعتبر التجار أو ما يطلق عليهم بالأدبيات الإيرانية «البازار» أقوى فئة اجتماعية بعد علماء الدين فى الحياة، السياسية الإيرانية. ويرجع تاريخ نمو التوجه السياسى للبازار إلى عام ١٨٣٧ عندما تصدى التجار الإيرانيون فى تلك الفترة للتجار الأوروبيين. وتصاعدت معارضة التجار لخصومهم الأوروبيين فى الخمسينيات من القرن الثامن عشر وأمام محاولاتهم المتوالية والتي باءت بالفشل للوقوف ضد التجار الأوروبيين الذين تحميهم السلطة القاجارية حينذاك، توجه التجار بعد خسارتهم للسوق المحلية إلى تأييد علماء الدين، الأمر الذى تمخض عنه ما يعرف بثورة التنباك وتبعاتها السياسية والتي خلفت الثورة الدستورية. وبعد هذا التوافق فى

المصالح أصبح التجار ذوى علاقة سياسية وليست فقط دينية مع رجال الدين ضد السلطة المحلية والتدخل الأجنبي، ويعتبر التجار أو البازار من أقوى التيارات الاجتماعية ذات التأثير السياسى الكبير فى إيران. إلا أنه عرف عنهم بأنهم مع السلطة السياسية كلما كانت هناك اتجاهات للسلطة لحماية وضعهم الاقتصادى مما يعنى إنهم بشكل عام مع الإصلاح الاقتصادى ومع أى سياسات داخلية أو خارجية طالما إنها تصب فى النهاية فى تنشيط التجارة الداخلية والخارجية لإيران. وعلى أى حال فإن هذا الارتباط التاريخى قد اشتد وثاقه بفعل العلاقة المالية بين التجار ورجال الدين والتي تتمحور حول مسئولية الخمس الشرعى عند أهل المذهب الجعفرى. الذى أدى إلى استقلالية رجال الدين عن الدولة بصورة مستمرة وعلى مر التاريخ على الرغم من التكنيل الذى تعرض له علماء الشيعة.

#### ٥ - الفلاحون:

وتعتبر هذه الفئة الطبقة العريضة من الشعب ولكنها غير منظمة بل خاضعة لتبعية عدة جماعات سياسية وخاصة لرجال الدين حيث إن معظم التأييد الشعبى للحكم الإسلامى يأتى من هذه الفئة. وتعتبر هذه الفئة الرصيد السياسى الفعلى لأى نظام سياسى فى إيران لذلك يحرص كل تجمع أو تيار سياسى على استقطابها ولكن على صعيد الواقع لم ينجح أى تنظيم سياسى فى القيام بعملية الاستقطاب السياسى لهذه الفئة إلا رجال الدين وذلك لأسباب عديدة، منها إن السواد الأعظم من الفلاحين ذوو توجهات محافظة إضافة إلى أن رجال الدين استطاعوا أن يتعاملوا مع هذه الفئة عن قرب عن طريق الاتصال غير الرسمى الذى يتولى أمره مراجع الدين بواسطة الخطباء وأئمة المساجد الذين ينتشرون فى القرى والمناطق الصغيرة والذين يقومون بالتدريس والإرشاد وحل المشاكل بين الأهالى مما جعل لهم نفوذا اجتماعيا واسع النطاق على الحياة الاجتماعية والعرفية لهذه الفئة وبالرغم من عدم وجود تأثير مباشر لهذه الفئة فى صناعة القرار الخارجى إلا أنها تعتبر ظهيرا سياسيا قويا لمتخذ القرار السياسى أو للمعارضة لذلك يسعى الجميع لكسب تأييدها فى سبيل التأثير غير المباشر فى أمور سياسية مختلفة منها السياسة الخارجية.

#### ٦ - الطلبة:

والمقصود بالطلاب، هنا، طلبة الحوزات الدينية والجامعات فى شتى المدن الإيرانية، ومن المعلوم أن تأثير الطلبة فى الحياة السياسية الإيرانية يعتبر أحد العوامل الأساسية فى العملية السياسية. فبالإضافة إلى الحجم الكبير الذى تتمتع به هذه الشريحة، فمن المعروف

أنهم أكثر الفئات مشاركة في العمل السياسي. كما أن هذه الفئة تعتبر التيار الرئيسي لقوى الثورة والسياسة في إيران. ولطلبة علوم الدين وزن انتخابي لا يستهان به يجعل بعض الأحزاب والتيارات السياسية الأساسية تتمحور حول الأطروحات الطلابية سعياً وراء استمالتهم، والحقيقة أن هذه الشريحة الاجتماعية تتنوع في اتجاهاتها السياسية التي توصف بحالة غير ثابتة. وعلى الرغم من ذلك، فإن جل اهتمام هذه الشريحة لا يتعلق بالعمل السياسي الخارجى أكثر من الأمور المحلية والداخلية، ولطلبة الحوزات العلمية الذين يقدر عددهم بحوالى ٣٠ ألف طالب تأثير يفوق عددهم الفعلى، حيث يعتبرون الجسر الذى يحمل الرسالة الدينية للطبقات والفئات الاجتماعية الأخرى لذلك فإنهم أداة فاعلة للضغط والعمل السياسى فى إيران لا يمكن اغفال أهميتها هذا بالإضافة إلى أن لهم آراء فى السياسة الخارجية وعلاقة إيران بالعالم الخارجى، كما أن لهم احتكاكاً مباشراً مع الشعوب الإسلامية من خلال المؤتمرات واللقاءات الدينية والفكرية وتبعاً لذلك فإنهم يلعبون دوراً أساسياً فى تنشيط وتوضيح السياسة الخارجية الإيرانية.

#### ٧ - العمال:

بالرغم من عدم تبلور الدور السياسى للعمال ضمن جدول أعمال محدد أو تنظيم معروف، إلا أن أهميتهم تتصاعد بدرجة كبيرة، وذلك يرجع إلى سياسة التصنيع وخاصة الصناعات الثقيلة التى اختطتها حكومة الرئيس الإيرانى السابق الشيخ على أكبر هاشمى رفسنجانى، كما تحاول هذه الفئة تنظيم نفسها من خلال النقابات العمالية. إلا أنه وبسبب عدم نضوج هذه النقابات وتعرضها للانسياق السياسى لبعض التيارات السياسية لم تتمكن من الاستقلال بنفسها. ولكن المستقبل يوحى بأنه سوف يكون لها شأن يعتد به على الساحة السياسية فى السنوات المقبلة وخاصة إذا نجحت إيران فى تثبيت وتطوير صناعتها الوطنية.

#### (ب) التيارات والأحزاب السياسية:

توجد فى إيران أحزاب وتيارات سياسية متعددة منها ما هو ظاهر على الساحة السياسية ومنها من يعمل خارج إيران ومنها:

#### ١ - رابطة علماء الدين المجاهدين (جامعة روحانيت مبارز تهران):

رابطة علماء الدين المجاهدين تعبر عن ائتلاف يضم حوالى ١١ مجموعة صغيرة وكبيرة، كما تعبر هذه المجموعة بصورة عامة عن التيار اليمينى المحافظ. ويتوافق هذا التيار

السياسى مع برنامج الرئيس السابق رافسنجانى فى سياسته الإصلاحية إلى حد نا، ولكن ازدادت حدة المعارضة له وخاصة قبيل الانتخابات البرلمانية الخامسة التى أجريت فى شهر مارس (١٩٩٦) ولقد فاز هذا التيار بالأكثرية فى الانتخابات البرلمانية الرابعة لمجلس الشورى عام ١٩٩٢ بينما لم يحقق نفس الأغلبية الساحقة فى الانتخابات الخامسة.

#### ٢ - مجموعة الأعمال والبناء (كاركوزاران):

ظهرت هذه المجموعة على الساحة السياسية قبل الانتخابات التشريعية الخامسة فى مطلع سنة ١٩٩٦، وأخذت غطاء سياسيا وشعبيا من الرئيس رفسنجانى، وأطلق عليها فى بداية تشكيلها مجموعة الـ ١٦ لوجود عشرة وزراء من الحكومة وأربعة نواب للرئيس ومدير البنك المركزى ورئيس بلدية طهران ولكن بعد ظهور الشكوك حول قانونية الممارسة الانتخابية من قبل الوزراء، انسحب منها الوزراء العشرة لتبقى بمسمى جديد وهو «مجموعة الستة» والذى أعلن مجلس الخبراء عدم مشروعيته أيضا فيتحول الاسم إلى مجموعة الإعمار والبناء.

وتركز هذه المجموعة على الانفتاح الاقتصادى وبناء إيران من الداخل حتى تستطيع أن تقوم بالدور المناط بها خارجيا ويضم هذا التجمع مزيجا من التكنوقراط أى إنها تعتبر التطور الطبيعى فى مسيرة الثورات خاصة عند خروجها من مرحلة الثورة إلى مرحلة الدولة. فمن المعلوم تاريخيا أن أى ثورة سياسية تبدأ بعنفوان كبير ولكن سرعان ما تعود إلى الهدوء من أجل التركيز على شئونها الداخلية فى محاولة لتقديم نموذج ناجح إلى العالم الخارجى.

#### ٣ - تجمع علماء الدين المجاهدين (مجمع روحانيون مبارز تهران):

بالرغم من تقارب اسم هذا التيار مع التيار الأول (جامعة علماء الدين المجاهدين) إلا أن الأطروحتين السياسيتين للتيارين مختلفتان تماما. ويعتبر هذا التيار على حد تعبير الكثير من المتخصصين فى الشئون الإيرانية. التيار الدينى المتشدد والذى عارض الانفتاح الاقتصادى وخطط الرئيس رفسنجانى السياسية. ومن قادة هذا التجمع آية الله كروبي رئيس المجلس الثالث وحجة الإسلام محمد موسى خوينيهيا.

#### ٤ - منظمة مجاهدى الشعب الإيرانى (سازمان مجاهدين خلق إيران):

يعود تشكيل هذه المنظمة إلى عام ١٩٦٠-١٩٦٣ فى عهد النظام الملكى. وهى منظمة ثورية تخلط بين بعض المفاهيم الإسلامية والاشتراكية العلمية. المؤسسون لهذه المنظمة هم محمد هاينغينز هاد وسيد محسن وعلى أصغر باديز أديغان ومسعود رجوى.

وتعتبر المنظمة من أكبر الأحزاب السياسية المعارضة لنظام الحكم في إيران وتعتبرها الحكومة الإيرانية منظمة إرهابية. وقد اتسمت العلاقات الإيرانية- الفرنسية بالتوتر خلال النصف الأول من ثمانينيات القرن الماضي عندما كانت هذه المنظمة تتخذ من فرنسا مركزا لها. حتى قامت الأخيرة بطرد أفراد هذه المنظمة وإنهاء عملهم السياسي مما جعلهم يلجأون إلى العراق لاستكمال نهجهم المعارض ضد إيران بعدما رفضت عدة دول عربية وأوروبية استضافتهم، وقد استخدمهم العراق كورقة رابحة ضد إيران وذلك بغية أن تقوم الأخيرة بتضييق العمل السياسي على الجماعات العراقية المعارضة العاملة في إيران. وذلك طوال فترة رئاسة صدام حسين.

٥ - مجاهدو الثورة الإسلامية خط الإمام (مجاهدين انقلاب إسلامي بيروى خط إمام):

يرجع تنظيم مجاهدى الثورة الإسلامية إلى فترة ما قبل الثورة عندما كانوا يكافحون ضد نظام الشاه. ويعتقد أن أفرادا من هذا التنظيم كانوا يكافحون ضد نظام الشاه. ويعتقد أن أفرادا من هذا التنظيم كانوا أعضاء فى منظمة مجاهدى الشعب الإيرانى (مجاهدى خلق) ولكن نتيجة للاختلاف الفكرى حول الماركسية التى تتبناها منظمة مجاهدى خلق والإسلام الذى يتبناه هؤلاء الأفراد، فلقد انفصلوا فى تنظيم أسموه بمجاهدى الثورة الإسلامية. ولقد نشط هذا التنظيم بعد الثورة وتغلغل أفراده فى جميع المؤسسات المهمة مثل الخارجية والجيش والحرس والمؤسسة الدينية ومجلس الشعب والوزارات الرئيسية والمؤسسات الشعبية الكبرى. ومن رجال هذا التنظيم المشهورين على محمد رجائى الرئيس الإيرانى الراحل والذى تولى الرئاسة بعد بنى صدر. وبهزاد نبوى وزير الدولة السابق والأدميرال على شمخانى وزير الدفاع ورفيق دوست رئيس الحرس الثورى السابق وفى عام ١٩٨١ وعلى أثر انتشار موجة فكرية فى حتمية ذوبان التيارات والأحزاب فى بوتقة الإمام الخمينى طلب أعضاء التنظيم من الإمام الخمينى حل التنظيم، ولكن بعد فترة عادت بعض عناصر تنظيم مجاهدى الثورة إلى العمل من خلال ما يسمى بتيار أو خط الإمام وبسبب التوافق النظرى بين أفرادها، اتسم هذا التيار بالشعبية والانتشار. فلقد عمل فى بدايته فى الأمور الثقافية والفكرية حتى استطاع أن يؤسس قاعدة من المفكرين ومن ثم الانطلاق للعمل فى الحقل السياسى للأخذ بمنهج التغيير التدريجى من خلال امتزاج الإطار الإسلامى الذى وضعه الإمام الخمينى والنظرة الواقعية لداخل وخارج إيران. ولعل هذا المنهج كان سببا لانضمام أعضاء وتجمعات أخرى مثل بعض أعضاء تجمع رجال الدين المجاهدين بعد خروجهم من تجمعهم، واستطاع تيار

خط الإمام استمالة بعض التجمعات الصغيرة نسبياً مثل اللجنة الإسلامية لندرسى الجماعات ولجنة المعلمين الإيرانيين وبعض الكتاب الصحفيين والمثقفين الإيرانيين. كما إنهم تعاونوا بشكل كبير مع تجمع كوادر الإعمار والبناء وتيار خط الإمام بهذه الإمكانيات دعم وبشكل كبير مرشحة السيد محمد خاتمی للرئاسة ومن المتوقع أن يتواصل انتشار هذا التنظيم ويتفاعل أكثر مع الجماعات الأخرى في المجتمع الإيراني. وعلى الرغم من موافقها العنيفة ضد الولايات المتحدة إلا إنها تنادي بالتوازن السياسي والانفتاح الحضارى على الشعوب. ولهذه المجموعة صحيفة ذائعة الصيت تسمى «عصر ما» والتي تعنى عصرنا.

### ٦ - التيارات والمجموعات الصغيرة

هناك الكثير من المجموعات الصغير المتناثرة فى المجتمع الإيراني. ومن الملاحظ إن هذه الجماعات دائماً ما تلجأ إلى الالتحام أو التضامن مع جماعات أخرى أكثر قوة حتى يتسنى لها بلوغ مرادها ولو بصورة نسبية ومن أمثلة هذه التيارات الآتى:

□ مجموعة أساتذة الجامعة.

□ حركة نهضة الحرية: يرجع تاريخها إلى بداية ستينيات القرن الماضى حيث أسسها المفكر الإيراني الراحل مهدى بازركان. وتعتبر هذه الحركة من الحركات الليبرالية المطعمة بالأفكار الإسلامية. ويرأس هذه الحركة المعارض الشهير إبراهيم يزدى.

□ مجموعة الجامعيين المستقلين: يقودها حشمت الله طبرزدى الذى حقق شهرة شعبية من خلال مشاركته فى إصدار الصحيفة الأسبوعية ببيام دانشجو (صوت الجامعة) ولكن تبقى هذه المجموعة كغيرها من المجموعات الصغيرة عرضة للتحالف وتقديم الأولويات الداخلية على الاهتمامات السياسية الخارجية.

وبشكل عام يمكننا استخلاص أن من بين التيارات السياسية المشار إليها يوجد تياران سياسيان مهمان فى تأثيرهما واهتمامهما بالسياسة الخارجية وهما رابطة علماء الدين المجاهدين (روحانيت) ومجموعة الإعمار والبناء (كار كوزاران) وتأتى بقية التيارات بعدها فى درجة الاهتمام. أما بالنسبة للفئات الاجتماعية فإننا نجد أن فئتي البازار وعلماء الدين العاملين فى السياسة يأتیان فى المركز الأول فى مدى اهتمامهم بالسياسة الخارجية مقارنة بالفئات الاجتماعية الأخرى، ويرجع السبب فى ذلك إلى اهتمام هاتين الفئتين بالمرجات الاقتصادية والثقافية والأيدولوجية والتي تتأثر بصورة مباشرة بنوعية السياسة الخارجية.

وتكمن الصعوبة فى قياس تأثير كل من التيارات السياسية والفئات الاجتماعية بصورة دقيقة لكثرة التداخلات بينها، والعامل القوى والذى يمكن أن يضعف أو يقوى دور هذه الفئات والأحزاب يكمن فى درجة علاقتهم وتوافقهم مع مرشد الثورة أو ولى الفقيه الذى يمكنه أن يعطى غطاء شرعياً وأيديولوجياً لآرائهم الخاصة بالسياسة الخارجية ومن ثم يضاعف تأثيرهم على القرار الخارجى، والخلاصة أنه كلما كان هناك توافق بين مجمع روحانيت والباراز وعلماء الدين العاملين فى الحقل السياسى مع نظرة ولى الفقيه، كلما كان التأثير أكثر على السياسة الخارجية وهذه العلاقة غير دائمة التحقق نظراً لأبعاء أخرى تدخل فى الموضوع مثل تأثير وقرب الحكومة والرئيس من ولى الفقيه والذى قد يتعارض مع ما تروج أو ترمى إليه هذه الفئات والتيارات.

### رابعا: المتغير الخارجى

يقول بيتر جوريفيتش فى دراسته المعنونة الصورة الثانية بالاتجاه العكسى المصادر الدولية للسياسة الداخلية.

The second image reversed The International source of domestic politics

إن بعض السياسات الخارجية ليست تابعة لعوامل داخلية بالأساس بل إنها انعكاس للوضع الدولى الذى قد يفرض تغييرات ومؤثرات على دولة معينة ويجعلها تغير من سياساتها ومؤسساتها الداخلية ومن ثم تتغير وتتأثر سياساتها الخارجية وبمعنى آخر، يقول جوريفيتش بأن المسبب الأساسى لاتخاذ سياسة خارجية معينة لا يكون مرجعه بالضرورة أسباب داخلية كما يبدو ظاهرياً بل إن مرجع هذه السياسات هو وضع دول معين تفرضه بعض الدول الكبرى المؤثرة فى النظام الدولى الأمر الذى يخلق رد فعل لدى الدول الأخرى ويجعلها تغير من سياستها وتركيبتها الهيكلية لتفرز بالنهاية هذه التغييرات فى سياستها أو سلوكها الخارجى. وحتى تقترب الصورة أكثر إذا أخذنا مثلاً الحظر الاقتصادى الذى تمارسه الولايات المتحدة الأمريكية على إيران جعل الأخيرة تغير فى بعض سياساتها الاقتصادية مثل تقليل الاستيراد والبحث عن أسواق خارجية وبدائل اقتصادية من خلال إعادة هيكلة المؤسسات الداخلية وإجراء بعض التغييرات فى الترتيبات فى المؤسسات المهمة حتى لو أتى الأمر على المؤسسة العسكرية وكذلك تعديل بعض السياسات والترتيبات الداخلية ليتم تقليل تأثير الضغط الأمريكى.

ولقد تعززت الحقائق التي طرحها جورتييفيش في الدراسات الحديثة بصورة أكثر حيث كشفت إحدى الدراسات الحديثة والتي اشترك فيها أكثر من عشرة متخصصين في الاقتصاد الدولى إن التغييرات الاقتصادية الدولية بما فيها تلك التى تصدر على شكل ضغوط من قبل الدول العظمى تؤثر فى السياسات الداخلية بأشكال متعددة تبعاً لأنواع الأنظمة ومؤسساتها الداخلية وتأتى هذه المؤثرات فى ثلاثة أنماط أساسية.

١ - خلق شكل جديد للأولويات السياسية.

٢ - حدوث ارهاصات لأزمات سياسية واقتصادية داخلية.

٣ - تقليل سيطرة الدولة على السياسات الاقتصادية الكلية.

وتقوم هذه التغييرات الداخلية والهيكلية بدورها بإفراز سياسة خارجية جديدة أو على الأقل بإعادة توجيه السياسة الخارجية Redirect of Foreign Policy أو إنها تأخذ منحى خطراً عندما تقوم الدولة بالتصليب لسياستها الداخلية والتي عادة ما ينتج عنها حالة من عدم الاستقرار إقليمياً ودولياً.

ونستطيع الاستفادة من نتائج الدراسات المشار إليها من حيث أن سياسة إيران الخارجية تتأثر بشكل كبير بالواقع الدولى ومعطياته خاصة وأن الولايات المتحدة كقوة عالمية تولى اهتماماً كبيراً بإيران. كما تحاول الأخيرة أن تواجه السياسات الأمريكية فى المنطقة بسياسات أخرى مقابلة لغرض معادلة التوازن الإقليمى ويمكننا القول أن هناك علاقة جندلية بين سياسات الدولتين مما ينتج الكثير من المخرجات السياسية الإقليمية فعلى سبيل المثل تتبع الولايات المتحدة سياسة رئيسية تجاه إيران تتمثل فى الاحتواء المزدوج والتي ترمى إلى تقليص دور إيران الإقليمى خاصة من خلال فرض الحظر الاقتصادى الذى يهدف إلى إضعاف الاقتصاد الإيرانى بغية أن يتمخض عن ذلك موجة من حالة عدم الاستقرار السياسى الداخلى فى إيران وتواجه إيران هذه السياسة بمحاولة تعزيز علاقاتها الخارجية مع دول العالم خاصة فى أوروبا وآسيا والخليج؛ ومن جهة أخرى فإن إيران تتبع سياسة اقتصادية قائمة على تقليص الاستيراد وتنويع الإنتاج وتحديد صرف العملة وفى نفس الوقت تقوم بتعزيز قوتها العسكرية تحسباً لأى نزاع محتمل يقع بينها وبين الولايات المتحدة أو إسرائيل، لذلك تتبنى سياسة تحييد مواقف دول مجلس التعاون والدول العربية الرئيسية الأخرى وخاصة مصر، وفصلها عن سياسة الولايات المتحدة بعكس الأخيرة التى تسعى إلى دمج تعهداتها تجاه

دول الخليج بمدى مساندة هذه الدول لسياستها الخارجية في الخليج وما القانون الذي أصدره الكونجرس المسمى بقانون دماثوا والذي يقضى بمقاطعة ومعاقبة أى شركة أجنبية تتعامل مع إيران ولها مصلحة في الولايات المتحدة إلا إشارة للدول الأوروبية والخليجية لسياسة الاحتواء المزدوج وبالمقابل تقوم إيران فى الوقت الراهن بالتلميح للدول الخليجية والعربية والأوروبية والآسيوية بأن هناك الكثير من المصالح المشتركة بينها وبين إيران والتي قد تتعرض للخطر إذا انسأقت لسياسة البيت الأبيض وفى نفس الوقت تصدر من طهران بين الحين والآخر تصريحات ساخنة تتصف بالعمومية تارة وبالخصوصية تارة أخرى والتعننت والمرونة بين الفينة والأخرى قد يتصورها البعض بأنها لا تتفق مع المسار الأول التعاونى التى تظهره الحكومة ولكن تجب الإشارة إلى إنه فى وسط هذا التضارب والتعقيد فى فصل ودمج القضايا السياسية تتجه إيران إلى تبني عدة استراتيجيات قد لا تكون دول الخليج والدول العربية معنية بأى منها.

### تحليل السياسة الخارجية الإيرانية

يقصد بمدخلات السياسة الخارجية الإيرانية العوامل الخمسة ومدى تأثيرها فى السياسة الخارجية وتباين هذه المتغيرات فى التأثير قد ينعكس على إجراءات اتخاذ وصنع القرار الذى يكاد يكون محصورا بالنهاية بيد ولى الفقيه ووزارة الخارجية الإيرانية التى يهيمن عليها الرئيس ووزير الخارجية وتتبنى السياسة الخارجية أربعة نماذج رئيسية هى التبنى والتحفيز الذاتى والمساومات والتصلب.

#### ١ - استراتيجية التبنى Adaptive Strategy

تعتمد على الالتزام بالأعراف والشرعية الدولية، وقد ظهرت بوضوح فى السلوك الإيرانى الخارجى أثناء فترة الغزو العراقى لدولة الكويت حيث التزمت إيران بالقرارات الدولية الصادرة من الأمم المتحدة خاصة فيما يتعلق بتوقيع العقوبات على بغداد.

#### ٢ - استراتيجية التحفيز الذاتى Self - Promotion Strategy

وتهدف إلى تأكيد دور إيران الإقليمى وضرورة احتسابها فى المعادلة السياسية الإقليمية الآسيوية والخليجية والعربية، وفى اطار هذه الاستراتيجية أعلن هاشمى رافسنجاني استعداد بلاده للتوسط بين أمريكا والعراق يوم ٣ فبراير ١٩٩١ وقد رفض البيت الأبيض الفكرة فى اليوم الأول.

### ٣ - استراتيجية المساومات The Bargaining Strategy

تدخل هذه الاستراتيجية في صلب السلوك السياسي الإيراني الخارجي حيث توجد مساحات كبيرة للمناورة الدبلوماسية وتهدف إلى تحقيق أعلى معدل من الربح Maximization of Interest وقد تبلورت هذه السياسة خلال فترة الاحتلال العراقي للكويت عندما استطاعت إيران إجبار العراق على الرجوع إلى اتفاقية الجزائر التي رفضها من قبل.

وفي سياق هذه السياسة تأتي دبلوماسية إيران التي سبقت اجتماع منظمة المؤتمر الإسلامي الذي انعقد في طهران حيث قام وزير خارجية إيران بزيارات متعددة خاصة مصر في إشارة إلى استعداد طهران للتنازل عن سياستها المعارضة لكامب ديفيد مقابل حضور مصر القوى وإسهامها في إنجاح المؤتمر

### ٤ - استراتيجية التصلب Interinsigent Strategy

تهدف هذه الاستراتيجية إلى إظهار استقلالية إيران عن التبعية للغرب وخاصة الولايات المتحدة وذلك من خلال التأكيد على قوتها الإقليمية المقاومة لجميع أنواع الهيمنة العالمية على منطقة الخليج كما تركز هذه السياسة على المبادئ الرئيسية للثورة وعدم التخلي عنها. وهذه الاستراتيجية ليس لها علاقة فقط بالنواحي القانونية والدستورية وإنما تمتد إلى ما يسمى بالنفسية الجغرافية السياسة عند الإيرانيين Psychogeography ذات الجذور التاريخية والثقافية وعادة ما تبدو على شكل تصريحات حادة من قبل العلماء للهجوم على الهيمنة الخارجية أو عند حدوث قضية دولية تظهر انحيازاً غربياً تجاه العالم الإسلامي كما تستخدم الاستراتيجية من أجل الحشد والتجيش الداخلي والخارجي وإبراز الظلم الواقع على الذات من قبل الآخرين والتي تسمى بـ Self-image Cameralism.

وهذه الأنماط الاستراتيجية الأربعة في سياق السياسة الخارجية الإيرانية تكشف النقاب عن مدى تعقيد اجراءات صنع القرار الخارجي.

### إيران وهجمات ١١ سبتمبر

أدركت إيران بعد وقوع الهجمات وتأكد النية الأمريكية في القيام بعمل عسكري ضد أفغانستان أنها لا بد أن تكون من الفاعلين الرئيسيين في أي عمل تقدم عليه الولايات المتحدة لعاقبة من اتهمتهم بتدبير هذه التفجيرات وذلك نظراً لموقعها الاستراتيجي حيث إن لها حدوداً طويلة تمتد لمسافة ٩٠٠ كم مع أفغانستان بالإضافة إلى أن لها نفوذاً قوياً

لدى المعارضة الشمالية المعادية لحركة طالبان وحدودا مشتركة مع الجمهوريات المستقلة عن الاتحاد السوفيتي السابق ناهيك عن أن إقناع واشنطن لطهران بالتعاون معها أمر له أهميته الخاصة نظرا لطبيعة التوجه السياسي للجمهورية الإسلامية الإيرانية وقد تمثل رد الفعل الرسمي الإيراني تجاه هذه الهجمات فيما يلي :

١ - سارع الرئيس خاتمي بإدانة الهجمات بعد ساعات من وقوعها وكان ذلك لافتا على اعتبار أن الولايات المتحدة تضع إيران في قائمة الدول الراحية للإرهاب وهو ما كان له رد فعل ايجابي لدى المسؤولين الأمريكيين.

٢ - بعد أسبوع من الهجمات أعلن المرشد على خامنئي هو الآخر إدانته للحادث، وكان لهذا الإعلان قيمته الكبيرة بالنظر إلى مكانة المرشد في النظام السياسي الإيراني، ودل في الوقت نفسه أن إدانة خاتمي لا تعبر عن رؤيته الذاتية وإنما تعبر عن موقف الدولة الإيرانية الرسمي.

٣ - ساد الغالبية العظمى من الصحف الإيرانية موقف الإدانة لهذه الهجمات وهو ما دل على وجود رأى عام إيراني ضدها.

٤ - بعث عمدة طهران مرتضى الويرى ومحمد عطريان رئيس مجلس الشورى البلدى برسالة مواساة خطية إلى عمدة نيويورك، وذلك في أول اتصال رسمي بين مسئولين فى البلدين ومع الأخذ فى الاعتبار أن القوانين الإيرانية تحرم اتصال المسئولين الإيرانيين بالمسؤولين الأمريكيين فمن المؤكد أن هذه الخطوة قد تمت بمباركة رسمية.

٥ - لأول مرة منذ اندلاع الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩ لا يرفع شعار الموت لأمريكا فى خطبة الجمعة المركزية فى طهران.

٦ - سمحت وزارة الداخلية لتيارات سياسية بتنظيم تجمع للتعبير عن مواساة الشعب الأمريكى فى أحد ميادين شمال العاصمة طهران.

اتخذت إيران هذا الموقف وهى تعلم أن الأمن القومى الإيرانى قد يتعرض لتهديدات جسيمة إذا قامت الولايات المتحدة بمد نفوذها العسكرى إلى حدودها الشرقية والشمالية، أى فى أفغانستان وجوارها ولكنها أرادت أن تبرئ ساحتها أولا. وفى الوقت نفسه يجب الوضع فى الاعتبار أن لدى إيران قدرات وامكانات مهمة تستطيع بها أن تتعامل مع هذا المد حال حدوثه.

وقد زواج الموقف الإيراني بين المرونة والتشدد في آن واحد فقد أكد خامنئي أهمية مكافحة الإرهاب لكنه وصف موقف الولايات المتحدة بأنه متعطرس ونابع من ماهيتها الاستكبارية والسلطوية، ورفض المنطق القائل بان الذين لا يوافقون أمريكا هم مع الإرهاب، وخلص إلى أن إيران لن تقدم أى دعم للولايات المتحدة وحلفائها فى الهجوم على أفغانستان. وقد اتخذ الرئيس خاتمي الموقف نفسه حيث هاجم استخدام بوش كلمة «الحرب الصليبية» وانتقد فكرة تقسيم العالم إما مع الولايات المتحدة وإما ضدها، رغم أن معلومات نشرت فيما بعد اشارت إلى أن إيران قدمت تسهيلات عسكرية للقوات الأمريكية دون توضيح ماهية هذه التسهيلات.

ولعل واشنطن كانت تدرك مسبقا حقيقة الموقف الإيراني الذى فهمه البعض أنه قد طاله تغير عندما أسرع طهران إلى إدانة التفجيرات فبادرت بأن تكون أوروبا الوسيط مع إيران وفى هذا الإطار قام وزير الخارجية البريطاني جاك سترو بزيارة إلى إيران هى الأولى من نوعها منذ اندلاع الثورة الإسلامية عام ١٩٧٩ وتلى هذه الزيارة زيارة وفد الترويج الأوروبى للعاصمة الإيرانية ثم قام مبعوث خاص لرئيس الوزراء اليابانى بزيارة خاصة إلى طهران وكان هدف كل هذا: الزيارات محاولة إقناع إيران بالانضمام للتحالف الأمريكى.

على هذا النحو يمكن القول أن الموقف الإيراني كان متوازنا فى التعامل مع الأزمة. وبعبارة أخرى كان على إيران أن تدين الحادث الذى ألقى بالإسلام فور وقوعه بالنظر إلى طبيعة النظام السياسى فيها والذى يقوم على الأيديولوجيا الإسلامية وكون أن الولايات المتحدة تعتبرها دولة راعية للإهاب لكن وفى الوقت نفسه فإن تشدها لاحقا كان ضرورة تفرضها اعتبارات الأمن القومى الإيراني. وقد نشطت إيران فى اتصالاتها مع كثير من الدول العربية من أجل التنسيق المشترك لمواجهة هذه الأزمة فكانت زيارة وزير الخارجية كمال خرازى إلى كل من مصر وسوريا وعندما بدأت الولايات المتحدة فى شن حربها على أفغانستان كانت إيران أول الدول القليلة التى نددت بالحرب بل إنها اتخذت موقفا أبعد من الإدانة حينما أعلن على خامنئي المرشد الروحى للثورة أن الأمريكيين يروجون كذبا بأن دوافعهم لمهاجمة أفغانستان هى محاربة الإرهاب إلا أن الدافع الحقيقى لأمريكا هو فرض السلطة والهيمنة.

وعلى الرغم من كل ذلك لا يمكن تجاهل مغزى سرعة إدانة إيران للمجمات فهى دون شك توحى برؤية جديدة للتعامل مع العالم تنطوى بالضرورة على مراجعة ثوابت ظلت

تحكم السياسة الخارجية الإيرانية أعواما طويلة ، وهو الأمر الذى يطرح للمناقشة قضية التجديد فى الساحة السياسية الإيرانية وكذا إثر هذه الأزمة على نمط التفاعل بين المعتدلين والمحافظين بخصوص التعامل مع الملف الأمريكى حيث شهدت الساحة الإيرانية تباينا واضحا فيما يتعلق بكيفية التعامل مع هذا الملف فقد ذهب تيار إلى أهمية أن تستغل إيران هذا الموقف من أجل تحقيق انفراجة فى علاقتها مع الولايات المتحدة حتى لا تتأزم الأمور بشكل أكبر مما هو قائم بالفعل ولأن إيران سوف تصبح مطوقة بالوجود الأمريكى بينما ذهب تيار آخر إلى تحسين العلاقات الثنائية بين البلدين يظل مرتبطا بضرورة مراجعة الولايات المتحدة لسياستها فى الشرق الأوسط ولكن هذا التيار لم يستنكر التعاطى الأولى من قبل المؤسسات الرسمية مع الأزمة وربما تكون هذه هى جزئية التجديد التى طالبت الموقف الإيرانى تجاه العلاقات مع الولايات المتحدة.

ومن جانبه حاول التيار المعتدل توظيف مشاعر التعاطف الإيرانى غير المسبوق من قبل الشعب مع الولايات المتحدة من أجل تحقيق تقدم فى العلاقات مع واشنطن حيث قام ١٦٥ عضوا من أعضاء مجلس الشورى الإسلامى البالغ عدد أعضائه ٢٩٠ والذى يسيطر عليه المعتدلون بالتوقيع على وثيقة أعربوا فيها عن تعاطفهم مع الشعب الأمريكى وطالبوا بحملة دولية لمكافحة الإرهاب تحت مظلة الأمم المتحدة. وأدرك المحافظون هذا المخطط فسعوا إلى عرقلته لأنه يهدف إلى إيجاد حل سريع لقضية مازالت محل خلاف شديد على الساحة السياسية لغير صالحهم ولكن لم يكن فى مقدور المحافظين الشروع فى ذلك إلا بعد أن هدأت موجة التعاطف الشعبى وبات على الدولة الإيرانية أن تتعامل بشكل استراتيجى مع المضاعفات التى سوف يخلفها امتداد النفوذ الأمريكى الجديد فى آسيا على الأمن القومى الإيرانى.

## المرونة الإيرانية

اشتهر الإيرانيون طوال تاريخهم بالمرونة. تداهمم العاصفة فينحنون لها، تمر بسلام أو بغير سلام.. ولكنهم يرفعون رؤوسهم بعدها بشم، ويستمررون فى طريق الحياة منتصبى القامة، كأن شيئا لم يحدث، وهم فى هذه السجية، أى المرونة التى تلازمهم كأنها غريزة فيهم، أشبه ما يكونون بالشعب المصرى، كما تجمعهم بالمصريين سجايا عديدة أخرى. والأدب الفارسى يفيض بالأشعار والحكم والأمثال التى تحت على المهادنة والرفق واللين والعزوف عن التشدد.. يقول حافظ الشيرازى أكثر شعراء الفارسية شعبية، ويأتى ديوانه

بعد المصحف الكريم فى تعدد طبعاته ورواج سوقه وسعة انتشاره. وقل إن تجد كوخا فى قرية نائية من إيران لا يحتفظ أصحابه بنسخة من ديوان حافظ الشيرازى..

يقول حافظ الشيرازى:

أسايش دو كيتى تفسيرين دوحرف.

بادوستان روت بادشمنان مدارا.

ما معناه:

إن سعادة الدارين تكمن فى تفسير هذين الحرفين:

المروءة مع الأصدقاء والمداواة مع الأعداء.

و قليلا ما تجد فى الأدب الفارسى ما يضاهى هذا الشعر العربى:

ونحن أناس لا توسط بيننا.

لنا الصدر دون العالمين أو القبر.

وانما يقول الإيرانيون: «زمان باتونسازد توباز فانه بساز»: «إن لم تسايرك الأيام فعليك

أنت أن تساير الأيام». ومثل هذه التعابير التى تدعو إلى المجاملة والمباشرة تجدها على

السنة عامة الناس فى كل مكان بين ثنايا القصص والأشعار والأمثلة الشائعة.

وكتاب «كليلة ودمنة» التى استهوى الكاتب الفارسى عبد الله بن المقفع فنقله إلى العربية

مترع بالحكايات التى تحذر من المغامرة والمخاطرة.

وعبد الله بن المقفع نفسه فى كتابيه «الأدب الكبير» و«الأدب الصغير»: يدلى بالنصائح

نفسها فيقول فى «الأدب الكبير» على سبيل المثال ما يلى: «احترس من سورة الغضب

وسورة الحمية وسورة الحقد وسورة الجهل وأعدد لكل شىء من ذلك عدة تجاهده بها من

الحلم والتفكر والروية وذكر العافية وطلب الفضيلة»..

ويقول أيضاً: «ذل نفسك بالصبر على جار السوء وعشير السوء وجليس السوء فإن ذلك

مالا يكاد يخطئك فإن الصبر صبران: صبر الرجل على ما يكره وصبره عما يحب، فالصبر

على المكروه أكثرهما وأشبههما أن يكون صاحبه مضطرا. واعلم أن اللثام اصبر أجسادا

والكرام أصبر نفوسا، وليس الصبر الممدوح بأن يكون جلد الرجل وقاحا أو رجله قوية على

المشى أو يده قوية على العمل، فإن هذا من صفات الحمير، ولكن أن يكون للنفس غلوبا

وللأمور احتملا وفى الضر متجملا ولنفسه عند الرأى والحفاظ مرتبطا وللحزم مؤثرا وللهمى

تاركا وللمشقة التي يرجو عاقبتها مستخفا وعلى مجاهدة الأهواء والشهوات مواظبا ولبصره بعزمه منقذا.

والشعب الإيراني الذي اعتاد أن يكظم غيظه وأن يبطن غير ما يظهر، تترسب مشاعر السخط في أعماقه على مدى العصور إلى أن يبلغ السيل الزبى ويطفح منه الكيل، فتثور ثائرتة وينفجر كالبركان وينطلق كالإعصار ولا تهدأ ثائرتة حتى يحطم بعض الهياكل القائمة كما حصل في ثورة أبي مسلم الخراساني والثورة الأخيرة.

ومما يلفت النظر ويدعو إلى التفكير أن ثورات الإيرانيين على مدى تاريخهم السحيق في القدم كانت تصطبغ طراً بصبغة دينية من عهد «زادشت» إلى يومنا هذا. لقد اصطدمت الثورة الإيرانية الأخيرة التي عرفت بالثورة الإسلامية، اصطدمت بحواجز في الداخل والخارج لم يكن بالإمكان تجاوزها لأنها كانت ذات جذور راسخة بسبب قدمها أو التصاقها بالطبيعة البشرية أو ارتباطها بالنظام الدولي المهيمن. وهنا تدخلت المرونة الذاتية الإيرانية وعملت جهودها للتطبيق بين اندفاع الثورة وصمود الدول، ونجحت تلك الموهبة «موهبة المرونة» في التغلب على مصاعب جمة.

وكان الميدان الداخلي هو أول ميدان أثبتت فيه المرونة الإيرانية قدرتها الخارقة على التأقلم، فقد ظهرت في مستهل قيام الثورة بوادر خلاف بين الثورة الصاعدة، والتقاليد الوطنية والقومية الصامدة، وبعد لأي جنحت الثورة لسانة تقاليد قديمة محببة إلى النفوس مثل عيد النوروز الذي يطل مع إطلالة الربيع «أول برج الحمل ورأس السنة الهجرية الشمسية حسب التقويم الإيراني الموافق ليوم ١٢ من شهر مارس/ آذار» وتنفس الإيرانيون الصعداء. وكل مضي في سبيله يخترس من الاحتكاك بالثاني التقاليد الشعبية والثورة الإسلامية.

ثم جاء دور الأعراف الدولية لتحصل على اعتراف الثورة الإسلامية الإيرانية التي كانت مترددة بقبول تلك الأعراف على علاتها. فجاءت الحرب التي فرضها العراق على إيران لتنهى حالة التردد تلك وتدفع الجمهورية الإسلامية الإيرانية إلى قبول الأعراف والقوانين الدولية واستخدامها لصالحها. وكان من آثار التعامل مع الأعراف والقوانين الدولية إطلاق سراح الرهائن الأمريكيين في طهران وإقامة بعض العلاقات مع المجتمع الدولي.

وتلك الحرب التي ظلت مشتعلة ثماني سنوات ساعدت الشعب الإيراني على أن يسترد ثقته بنفسه وأن يروض ثورته العارمة على التعايش مع الظروف الإقليمية والدولية أو بعبارة

أخرى على التسليم بالواقع دون مكابرة. فكانت النتيجة أن وقعت إيران على الهدنة مع العراق فوضعت الحرب أوزارها وتوقف هدير المدافع وأزيز الطائرات، فانتهت مرحلة حاسمة من حياة الثورة الإيرانية مع انقضاء العقد الأول من تاريخها، وكانت الحرب مع العراق بالنسبة إلى إيران أشبه شيء بمعركة «واترلو» بالنسبة إلى فرنسا، فهناك تضافرت دول أوروبا جميعها لتنزل المهزيمة بالجيش الفرنسي وبقائده نابليون بونابرت، وهنا تكاتفت دول عديدة من المنطقة وخارجها لكبح جماح الثورة الإيرانية.

وبعد انتهاء الحرب الطاحنة بدأت إيران الثورة مرحلة التطبيع العسيرة مستمدة العون من المرونة الفطرية التي يتصف بها الشعب الإيراني، وكانت تشمل هذه المرحلة معالجة المشاكل الداخلية وأهمها إعادة بناء ما دمرته الحرب الطويلة. وفي الخارج مد الجسور المقطوعة من جديد مع العالم الخارجى ليعود الشعب الإيراني إلى تبوؤ المركز الذى هو جدير به بين الأمم.

ولكن حدث ما لم يكن بالحسبان وهو انهيار الاتحاد السوفيتى مما خلق بلبلة فى التقديرات والحسابات الإيرانية، فإيران قد اعتادت على مدى ثلاثمائة سنة بأن تستفيد دائما من التنافس بين جارتها فى الشمال وجارتها فى الجنوب ففى الشمال كانت الإمبراطورية القيصرية ثم الاتحاد السوفيتى وفى الجنوب كان الإنجليز ثم انضم إليهم الأمريكيون. وقد اختل هذا التوازن بسقوط الاتحاد السوفيتى وأصبحت إيران فى مواجهة مع الغرب دون أن يكن لها صديق مساند إلا الصين وكوريا الشمالية الفائيتين وإمكانياتهما محدودة ولا قيمة كبيرة لدعمهما.

فالعالم السياسى الدولى ذو البعدين الذى كانت تنعم إيران بالتنافس الواسع بين قطبيه بات ذا بعد واحد، ففى أيام ذلك التنافس أرسل الإمام الخمينى أحد كبار العلماء المقربين إليه إلى موسكو محملا إياه رسالة خطية مشفوعة برسالة شفوية إلى الرئيس جورباتشوف متوسما الخير فيه عارضا عليه الإسلام. وكانت أول رسالة وآخر رسالة شخصية يوجهها الإمام الخمينى إلى زعيم أجنبى. ثم يهرع الرئيس رفسنجانى وهو لا يزال رئيسا لمجلس الشورى الإسلامى «البرلمان الإيرانى» يهرع إلى موسكو متأبطا طموحاته ويجلس هناك مع الرئيس جورباتشوف ويعقد عددا كبيرا من الاتفاقيات تتضمن كل ما تحتاجه إيران وفى مقدور موسكو أن توفره لها بما فيه أنواع متطورة من السلاح.

كل تلك المبادرات الضخمة يطويها سجل التاريخ وتصبح فى خبر كان، وتضحى أمريكا التى احتلت سفارتها فى طهران واهين علمها واتخذ دبلوما سيوها وموظفوها رهائن تسمى الدولة العظمى الأولى فى العالم ذات الحول والطول تجول وتصول حتى فى موسكو نفسها حاضرة الشيوعية الأولى بالأمس، لقد أسقط حقا على يد الذين كانوا يحسبون ألف حساب لصداقة موسكو.

لقد حاولت طهران بخبرتها التاريخية فى مجالات المرونة السياسية أن تستدير أيضا فى حدود معينة مع الاستدارة الكبرى التى حدثت بغتة على صعيد السياسة الدولية، وبذلت طهران جهودا لتذليل بعض الصعوبات فى علاقاتها مع المعسكر الغربى بزعامة أمريكا ولكن البون كان شاسعا ولم تعد المياه إلى مجاريها حتى يومنا هذا.

لقد أطلق سراح الرهائن الأمريكين فى طهران. ثم أفرج عن جميع الرهائن الغربيين فى لبنان؛ كذلك وافقت طهران على مفض على قبول قرار مجلس الأمن بإخماد نيران الحرب الإيرانية العراقية؛ ثم أبعد المتطرفون أمثال حجة الإسلام محتشمى وحجة الإسلام غفارى وحجة الإسلام خوئينى ها من ساحة البرلمان وسائر الساحات الرسمية الهامة، ولكن كل ذلك لم ينفذ فى تقريب الشقة بين المعسكر الذى تقوده أمريكا وبين الجمهورية الإسلامية الإيرانية. وتتوالى الأحداث وتندفع إيران على طريق المشروع النووى فتتفاقم علاقاتها مع أمريكا والعالم الغربى.

**أمريكا.. والسوفييت.. وإيران**

①

عندما التقى الجنرال ويزر الأمريكى بالشاه محمد رضا بهلوى ليطلب منه مغادرة إيران فإن ذلك كان خطوة على طريق الانتصار للثورة الإيرانية، وتنفيذا لمخططات استراتيجية أمريكية تتعلق بالمنطقة وبالصراع مع القوة العظمى الثانية وبأسلوب من أساليب التعامل مع الأصولية الإسلامية.

لنمض معا لاكتشاف الأسباب التى دفعت الولايات المتحدة للتخلص من واحد من أهم أصدقائها فى منطقة الشرق الأوسط وفتح الطريق أمام انتصار الثورة الإيرانية بقيادة آية الله الخمينى.

ومن هذه الأسباب :

أولاً: اقترب الشاه كثيرا من هدف تحويل إيران إلى قوة إقليمية عظمى وذلك يعنى اختلال التوازن فى منطقة الخليج القائم على ثلاث قوى هى العراق والسعودية وإيران. والتحول إلى قوة إقليمية عظمى يعطى الشاه قدرة التأثير على سياسات دول المنطقة والقدرة على مساومة القوى الأخرى فى المنطقة أو القوى ذات المصالح من خارج المنطقة. وكانت إيران قد تمكنت من بناء قوة عسكرية كبيرة تملك قدرات وإمكانات نيرانية متعظمة، كما بدأت تحاول دخول النادى الذرى.

واستغلالا لقدراتها العسكرية احتلت الجزر العربية الثلاث طناب الكبرى وطناب الصغرى وأبو موسى بالخليج وأرغمت العراق على توقيع اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥ وبها حصلت على مكاسب إقليمية بمنطقة شط العرب ومناطق حدودية أخرى.

وبعد هزيمة القوات الباكستانية أمام القوات الهندية فى نهاية عام ١٩٧١ وانفصال باكستان الشرقية عن باكستان الغربية لتصبح دولة بنجلاديش زادت قدرة إيران على المساومة وازدادت أمامها مساحة المناورة والمساومة فى ظل صداقة ودعم الصين الشعبية وتحركات الشاه لدعم باكستان فى مواجهة الهند.

واتفقت المخططات الأمريكية للتخلص من الشاه مع تطلعات مماثلة للاتحاد السوفيتى أملا فى استغلال الموقف لكسب قدر من النفوذ اعتمادا على الحزب الشيوعى القوى بإيران والسعى لاقتسام النفوذ مع الولايات المتحدة فى ظل التغيير.

ثانياً: كرس الرئيس الأمريكى كارتر نفسه خلال سنوات الرئاسة الأولى للدفاع عن مبدأ حقوق الإنسان وتوافقت هذه النزعة المثالية مع أهداف التيار الذى يرى أن الفساد فى إيران قد جاوز مده وأن السجل المشين لاعتداءات الشاه ونظامه على حقوق الإنسان الإيرانى قد تضخم بشكل مبالغ فيه.

وكانت نذر الثورة ماثلة أمام المخططين الأمريكيين وكان من الممكن أن يتم التخطيط لتسليم الحكم إما للعسكريين عبر انقلاب عسكرى أو للقوى السياسية المعتدلة المتحالفة مع تجار البازار.

ولكن كانت هناك اتجاهات داخل دائرة صناعات السياسة للعدول عن نهج تسليم الحكم للعسكريين بعد فشله فى دول كثيرة، وكان تقدير معظم المسئولين أن القوى السياسية

المعتدلة لن تتمكن من وقف التيار الثائر والمتنامي للإسلام السياسي في إيران الذي يمثله ويقوده آية الله الخميني.

ووجدت فكرة تسليم الحكم لآيات الله مساندة قوية ودعما من الفريق الذي يرى أن تسليم السلطة للإسلاميين هو أفضل طريق لتحجيمهم أو لتقزيمهم وبالتالي إحباط الآمال المعلقة عليهم لإنقاذ البلاد من الحاضر المتردى.

وأفكار هذا الفريق تدور حول عجز الإسلاميين السياسيين في إيران وعدم قدرتهم على تحقيق تطلعات الجماهير الاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

ومع قدر معقول من الضغوط السياسية والاقتصادية والعسكرية المتواصلة والمتصاعدة سيدرك هؤلاء الحكام حقيقة قواعد اللعبة على المسرح الدولي والمسرح الإقليمي وبعد سلسلة من المصادمات في الداخل والخارج تمتص حماسهم وتنهكهم وتستنزف قواهم وتعرقل مسيرتهم وتربكهم سيضطرون للتعامل مع الواقع والتخلي عن الشعارات والأهداف الرومانسية.

مثل هذا التراجع كفيل بالحد من شعبيتهم لا في إيران فقط بل في العالم الإسلامي الذي بدأ يشهد منذ النصف الثاني من ستينيات القرن الماضي يقظة إسلامية وقوى إسلامية تبحث عن طريق.

ثالثا: منذ نهاية الحرب العالمية الثانية والولايات المتحدة تحاول بإصرار اختراق الأسوار الحديدية للاتحاد السوفيتي لتخريبه من الداخل وخلق قلاقل واضطرابات تستنفد قواه وتنهك جسده وتعرقل مسيرته كقوة عظمى.

ومساعدة الولايات المتحدة للثورة الإيرانية كانت واحدة من أهم محاولات حفز القوميات الإسلامية التي تعيش في المناطق الجنوبية للاتحاد السوفيتي للانتفاض أو للتململ على أقل تقدير.

فالمسلمون في هذه الجمهوريات والمنتشرون على شكل قوس يمتد من بحر قزوين غربا حتى حدود الصين شرقا تعرضوا للقهر ومورست ضدهم أكثر إجراءات الحصار والقمع والتصفية قسوة سواء تحت حكم القياصرة أو حكم الشيوعيين ولم تتوقف الإجراءات عند حدود البشر بل امتدت لتشمل الدين الإسلامي.

ورأت الإدارة الأمريكية أن دعم الثورة الإيرانية الإسلامية سيؤثر إيجابيا على القوميات الإسلامية التي تعيش على الجانب الآخر من حدود إيران الشمالية بل يمكن للثورة أن تلعب

دورا كبيرا فى دفع هذه القوميات لخوض تجربة تحدى السلطات بصورة فعالة. كما يمكن أن تكون الثورة لا جسرا تعبر عليه الأفكار والمبادئ فقط بل يمكن أن تعبر من فوقه الأسلحة والمعدات والتمويل أيضا.

رابعا: كان وثوب الشيوعيين على الحكم فى أفغانستان خطوة رأت فيها موسكو الكثير من الإيجابيات فمن أفغانستان يمكنها الاقتراب من منابع النفط فى شبه الجزيرة العربية ومن الخليج الذى يعد من أهم ممرات البترول فى العالم، وبالاقتراب من حدود إيران من ناحية الغرب ومن حدود باكستان بشكل مباشر يمكن لموسكو ممارسة قدر أكبر من التأثير على معادلات توازن القوى فى المنطقة خاصة أن لأفغانستان حدودا مشتركة مع الهند الصديق الآسيوى الكبير.

أى أن أفغانستان ستدعم محور موسكو نيودلهى والامتداد جنوبا سيوفر مزيدا من الأمن للمناطق الجنوبية للاتحاد السوفيتى.

وكل هذه العوامل ستؤدى إلى زيادة حجم الدور السوفيتى فى المنطقة.

ولإحباط المخططات السوفيتية اندفعت الولايات المتحدة لدعم المجاهدين الأفغان بكل قوة لمقاومة الحكم الشيوعى وقدرت واشنطن أن اقتراب الحكم الشيوعى فى أفغانستان من الانهيار يمكن أن يؤدى إلى تدخل السوفييت مباشرة للحيلولة دون هذا الانهيار، وقتها يمكن تحويل أفغانستان إلى فيتنام سوفيتية بكل ما يترتب على ذلك من نزيف اقتصادى وبشرى واجتماعى ومعنوى وقد سارت الأحداث وفقا لهذا التصور..

ومساندة أمريكا للثورة الإيرانية لم تكن سوى خطوة لتحقيق هذه الأهداف الاستراتيجية ويمكن القول إن هذه الخطوة حققت الكثير.

٢

فى مثل هذه الأيام منذ أكثر من ثلاثة عقود وفى شهر الثلج الإيرانى «بهمن» (من ١٢ كانون الثانى/يناير إلى ١٢ شباط/فبراير)، حيث تصل البرودة فى بعض مدن البلاد إلى ٥٢ درجة تحت الصفر كانت حرارة الإيرانيين وصلت إلى أوجها لتصبح قادرة على صهر أقوى ترسانة عسكرية فى الشرق الأوسط آنذاك وتعطيلها. فاتحة الباب أمام عهد جديد من الكفاح المستمر من أجل إعادة صوغ هوية المجتمع والدولة الإيرانية الحديثة على أسس مختلفة تماما عما عهدته العالم من بلاد فارس.

قد توافق ذلك الرجل الثمانييني أو تخالفه الرأى حول نظرتة للسياسة والحكم والسلطة . وعلاقة كل ذلك بالدين والفكر والفلسفة . لكن ما كذفه من حجر كبير فى مياه «الفكر الدينى» الراكدة آنذاك . لاسيما فكر المدرسة الشيعة الفقهية التقليدية . كان بمثابة الزلزال الذى لم تنته آثاره بعد رغم مرور أكثر من ١٣ عاما على ذلك الحدث المثير للجدل على أكثر من صعيد ، إنه فكر الإمام روح الله الموسوى الخميني .

طهران المصرة اليوم أكثر من أى وقت مضى على المحافظة على كل ما أنجزته منذ ١٣ عاما حتى اليوم ، ترى نفسها مطالبة بـ «تغيير» و«إصلاح» كل ما لديها على قاعدة مختلفة تماما عن القاعدة الإيديولوجية الدينية التى ارتأتها عقيدة لها فى الفكر والسنوك والممارسة السياسية .

فطهران «الخمينية» لا يمكن لها أن تتصور ولو للحظة واحدة بلادها وقد أصبحت جزءا من «شرق أوسط كبير» تعد له واشنطن منذ ١١ أيلول «سبتمبر» . ٢٠٠١ ولا تقبل الخروج عليه من قبل أحد أياً كان وإلا اعتبر دولة «مارقة» !

الفرق بين طهران قبل ١٣ عاما وطهران اليوم شاسع وكبير . كل همومها واهتماماتها تغيرت وأخذت لونا وشكلا ومضمونا جديدا اعترفت به واشنطن أم لم تعترف . فطهران التى لا تزال «خمينية» رغم كل التحولات الداخلية وعصر الإصلاحات والتغيير فى السياسات ترى . فيما ترى . أن من حقها المشروع أولا قبل كل شىء أن تنال «اعتراف» العالم بها ، لا سيما من جانب ما يعرف بالعالم الغربى وتحديدًا الولايات المتحدة . بأنها أى طهران دولة مستقلة ذات نموذج فى الحكم يعتبر خطأ ثالثا أو خيارا ثالثا هو خيار الجمع بين الدين والديمقراطية على الطريقة الإيرانية ، بالمقابل فإن واشنطن التى صنفت «طهران» عضوا فى محور الشر العالمى . ترى فيها عقبة كأداء أمام رياح الإصلاح والتغيير المقبلة من العالم «الحر» وبالتالى لايد من ممارسة كل أشكال الضغط عليها لتغيير سياساتها ونهجها فى الحكم أيضا باعتباره نهجا من زمن «الطغيان» الذى يجب تجاوزه بسرعة متناهية !

هاتان النظرتان المتقابلتان تجعلان من المستبعد ، إذا لم يكن من المستحيل . التوافق بين طهران الحالية مع واشنطن الحالية حول الكثير من القضايا الساخنة والملفات الشائكة ، وفى مقدمتها فلسطين والعراق وأفغانستان ، ناهيك عن الملف النووى الإيراني الذى تعتبره طهران مفتاح استقلالها . فيما تعتبره واشنطن مصدر قلق للعالم أجمع !

وبينما تعمل طهران عبر قناة الحوار والمفاوضات الشاملة مع الأوروبيين على إقناع العالم بضرورة «الاعتراف» لها بحقها في الحصول على التكنولوجيا النووية للأغراض السلمية باعتبارها الوسيلة الأكثر قبولا والأقل كلفة للتوصل إلى تسوية منطقية ومعقولة بينها وبين العالم الخارجي يضمن لها استقلاليتهما وحقا في الاختلاف. تسعى واشنطن جاهدة إلى الدفع بالأوروبيين إلى «التلويح» بالعصا الغليظة إلى جانب «الجزرة» الأوروبية بهدف إجبار طهران على وقف مشروعها النووي!

الأوضاع المتقلبة في كل من العراق وفلسطين ولبنان وسوريا حيث يوجد الأمريكيون والإيرانيون في درجات متفاوتة من النفوذ والتحالفات المعقدة يمكن لها أن تدخل كعوامل قوية على خط «الاستقطاب» أو «الانفراج» في الأزمة المفتوحة بين واشنطن وطهران. طهران الدولة والثورة تبحث الآن عن «اعتراف» لها بأنها خيار ثالث خارج على ثنائية إما «الاحتمية التاريخية» الماركسية أو «نهاية التاريخ» الليبرالية.

حدثت موجة هائلة من التعاطف مع إيران في الولايات المتحدة عندما عرضت شاشات التلفزيون مشاهد للشباب الإيرانيين يوقدون الشموع بوسط طهران تعاطفا مع ذوى ضحايا هجمات ١١ من سبتمبر التي تعرضت لها نيويورك وواشنطن. وقد لاحظت جريدتا «نيويورك تايمز» و«واشنطن بوست» أن إيران كان البلد الإسلامي الوحيد الذي عبر الشعب فيه عن تعاطفه الهائل مع الأمريكيين في أحلك ساعاتهم. وقد أضفى خاتمي مزيدا من الوضوح على رسالته عندما قام بزيارة «موقع الكارثة» في نيويورك.. تلك كانت لحظة تمثل الكثير. إن إيران تقف إلى جانب الولايات المتحدة في رفضها لجريمة فظيعة ضد الإنسانية، ومع ذلك وبشكل مفاجئ. قرر شخص ما في طهران أن أي تحسن في العلاقات الإيرانية الأمريكية قد يعنى نهاية الخمينيين، وبشكل عاجل نظم البعض ما يسمى بـ «معرض لجرائم أمريكا» في طهران وأصدر تعليماته بحرق العلم الأمريكي في أنحاء البلاد وهو أسلوب جرى التخلي عنه بهدوء منذ عام ١٩٩٨.

وقد ازدادت الأمور تعقيدا إبان حرب أفغانستان، فبينما تعاون «الجانب الحكومي» التابع لخاتمي مع الأمريكيين ضد حركة طالبان، كان «جانب آخر من الحكومة» مشغولا بتسليح زعماء الحرب المعارضين لأمريكا في غرب أفغانستان وشمال غربها.

سلوك إيران ساعد الأجنحة المعادية لإيران في واشنطن في حملتها ليس فقط ضد الملالى بل أيضا ضد الدولة الإيرانية وبعبارة كانت قد ابتعدت عن كونها من «الدول المارقة». باتت

الجمهورية الإسلامية واحدة من أعضاء «محور الشر» كما طرح الرئيس الأمريكى جورج بوش. وكل هذا كان يمكن أن يظل عبارة عن حرب كلمات لو لم يتم الكشف عن أن إيران تعد من بين الدول التى قد تقوم الولايات المتحدة باستخدام الأسلحة النووية ضدها. وللتأكيد فإنه لا يوجد سبب يدعو الولايات المتحدة للهجوم على إيران اليوم أو لاحقاً. لكن حقيقة أن إيران جاءت ضمن القائمة تستوجب أن يعيد زعماء إيران حساباتهم المتعلقة بجزء من تراث الخمينيين.

فعندما استولى من أطلق عليهم «الطلبة» على سفارة الولايات المتحدة فى طهران أكد الخمينى لهم أن: «الأمريكيين لا يمكنهم أن يفعلوا شيئاً»، وذلك الشعار ما يزال مرفوعاً على جدران طهران. وقد استخدمه الرئيس السابق رفسنجانى.

وخلال عام ١٩٨٧ قامت البحرية الأمريكية بإغراق أكثر من نصف الأسطول البحرى الإيرانى وعطلت جزءاً مهماً من إنشاءات النفط البحرية الإيرانية. وقد قرر الخمينى عدم إثارة المسألة حتى لا يخسر ماء وجهه، بعدما ثبت أن أمريكا كانت قادرة على فعل شيء ما. وقد اضطر بعد أشهر قليلة لاحقة إلى شرب «كأس السم» عندما اضطر إلى وقف إطلاق النار مع العراق وإنهاء الحرب التى بدأت عام ١٩٨٠ واستمرت حتى عام ١٩٨٨، وبذلك تخلى عن عودته أو أوامره بغزو بغداد والاتجاه لتحرير القدس من أيدي قوات الاحتلال الإسرائيلى.

### موسكو وواشنطن على طريق مواجهة الثورة

نجحت الثورة الإيرانية وسيطرت على مقاليد الأمور باقتدار وبدأت تشق طريقها الخاص بعيداً عن حسابات الآخرين ومخططاتهم ومصالحهم.

وكان منطقياً أن تفجر الثورة براكين الغضب الجماهيرى ضد الشياطين الكبرى والصغرى، وتولدت موجات عاطفية عاصفة دفعت بالثورة عن طريق الصدام مع القوى العالمية والإقليمية.

وأعدت القوى المختلفة حساباتها على ضوء المتغير الثورى الجديد بكل ما يمثله من خطر على الحضارة الغربية والمصالح الاستراتيجية للغرب والمخاطر الأمنية التى تتعرض لها المناطق الجنوبية للاتحاد السوفيتى التى تضم القوميات الإسلامية بالإضافة إلى تأثيرها فى الحكم الشيوعى بأفغانستان.

وعلى ضوء هذه الحسابات بدأت تخطط لمواجهة الموقف أو المواقف الجديدة.

وكان القادة السوفييت هم الأسرع فى رد الفعل أو فى العمل المضاد للثورة ومخططاتها. واستقرت القيادة السوفيتية على المخاطرة بغزو أفغانستان ومساندة الحكومة الشيوعية العميلة بعد التصفيات المتتالية لأجنحة الحزب الشيوعى الأفغانى، وتعاضم نشاط المقاومة الأفغانية. وفى نهاية ديسمبر ١٩٧٩ أى فى نفس العام الذى سيطرت فيه الثورة على مقاليد الأمور فى إيران اخترقت القوات السوفيتية الحدود فى عمل غير مسبوق منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. فقد التزم السوفييت سياسة عسكرية دفاعية منذ عام ١٩٤٥ ولم يخرجوا للغزو إلا فى نهاية عام ١٩٧٩ لغزو أفغانستان.

وكان فى تقدير السوفييت أن الوجود العسكرى السوفيتى فى أفغانستان المجاورة لإيران من ناحية الشرق. سيدفع القادة الإيرانيين إلى العمل بالمرح الأفغانى بشكل يمتص قدرتهم على العمل بشكل فعال فى الجمهوريات الإسلامية بالمنطقة الجنوبية للاتحاد السوفيتى. أما الغرب بقيادة الولايات المتحدة فقد آثر أن يشعل حرب تدخل ضد الثورة الإيرانية وكان العراق كدولة مسلمة وجارة ومعرضة للأطماع الإيرانية. بالإضافة إلى المشاكل المتفجرة بين البلدين خاصة المتعلقة بالحدود وإحساس القادة العراقيين بالظلم الذى تعرضوا له أثناء توقيعهم لاتفاقية عام ١٩٧٥ بالجزائر. هو المؤهل بشكل جيد للقيام بهذا الدور، وبذكاء ودهاء وبكثير من المرونة جرى دفع العراق لخوض تجربة الحرب مع إيران. وكان الأمر يتطلب إمداد العراق بكميات ضخمة من الأسلحة وعزفا مستمرا على أوتار انهيار القوة العسكرية الإيرانية سواء بالتصفيات الجسدية للقيادة والضباط أو بعزلهم أو بوضعهم داخل السجون أو بعدم وجود قطع غيار، وغياب الصيانة بشكل فعال وعدم صلاحية الكثير من الأسلحة أو نتيجة عجز آيات الله عن إدارة الحرب الحديثة أو ضعف تسليح الحرس الثورى الذى تعتمد عليه الثورة أساسا.

ومثل هذه المعلومات التى ظلت تتردد على امتداد عامى ١٩٧٩. ١٩٨٠ بشكل مستمر كانت ضرورية لتتصور القيادة العراقية أن عراق الـ ٧١ مليون نسمة قادر على مواجهة إيران الـ ٥٠ مليوناً ليس ذلك فقط بل هو قادر على الانتصار واستعادة حقوقه وفرض إرادته على القيادة الإيرانية، والأهم هو خروجه من الحرب كقوة مرهوبة الجانب قادرة على التحول لقوة إقليمية عظمى لها كل التأثير على الخليج والدول العربية المطلة على شاطئه. واستعدادا لهذه الحرب اتخذ العالم الغربى مجموعة من الإجراءات من أهمها زيادة المخزون الاحتياطى من البترول خلال ربيع وصيف وخريف عام ١٩٨٠ من ٦٠ يوما إلى ٩٠

يوما، بل وصل المخزونون في بعض الدول إلى ١٨٠ يوما. وأخيرا ابتلع العراق الطعام وأطلق الحرب من عقالتها في سبتمبر ١٩٨٠.

ولم يكن ابتلاع العراق للطعام سذاجة سياسية أو غفلة، أو لمجرد أن الغرب أراد فنفاذ له ما يريد.. أبدا فقد كانت للعراق أطماع تتجاوز إمكاناته وتصور أن العمل في إطار مخططات الغرب. خاصة الولايات المتحدة سيتيح له تحقيق هذه الأطماع أو قدر منها.. وستمنحه الحرب ومتطلباتها الفرصة لتنمية إمكاناته وقدراته العسكرية سواء بالاستيراد أو بالمضى قدما على طريق التصنيع الحربي وهذه التنمية هي الطريق لبناء ترسانة عسكرية هائلة. وخوض الحرب ضد إيران، أي خوض تجربة حرب تدخل ضد الثورة هي المدخل لإستعادة عربستان «خوزستان» عربية مرة أخرى، وكانت عربستان عربية وآخر حكامها الشيخ خزعل قبل أن تستولى عليها إيران.

وبالمثل كان الساحل الشرقي للخليج أي الامتداد الجنوبي لعربستان «خوزستان» يحكمه «القواسم» أبناء عمومة حكام دول قائمة على الساحل الغربي للخليج. وإعادة عربستان عربية ومناطق أخرى على الساحل الشرقي للخليج ليس أكثر من الخطوة الأولى لبناء إمبراطورية عراقية تعيد أمجاد الإمبراطورية العباسية، وتعيد لبغداد مكانتها كمركز للعالم العربي.

وإذا كانت عربستان هي الخطوة الأولى فإنها تعطي للعراق ميزات عسكرية عندما يحين موعد الوثوب على مناطق أو دول من شبه الجزيرة العربية، هكذا كان يفكر حاكم العراق، أو هكذا كان يحلم. وتصور أن المخططين الغربيين تسيطر عليهم حالة من البلاهة وأنهم غافلون عن أطماعه أو على الأقل لن يقفوا في طريقها لمجرد أنه يخوض حربا ضد الثورة الإيرانية بالنيابة عنهم.

المهم.. أن الغرب نجح في خطته التي أدت إلى استنزاف حيوية الثورة واندفاعها وأجبرها على الانكفاء داخليا والالتزام بتوجيه كل الطاقات للحرب. بكل ما ترتب عليها من استنزاف الموارد الاقتصادية والبشرية. وبدء تحول الخلافات في الرأي بين المثاليين والمعتدلين والمتطرفين إلى عمليات تصفية جسدية.

## تطلعات إيرانية

بعد أكثر من ثلاثة عقود على المحاولات الإيرانية لنشر المذهب الشيعي الاثني عشرى في ربوع العالم العربي والإنفاق شديد السخاء والحملات الإعلامية المكثفة وانتشار الآلاف

من الدعاة المدربين والمتسييسين والتركيز على أوجه القصور وانتشار الفساد والإحباط البائد وتراكم المشاكل هنا أو هناك، تبين الجميع أن الأبواب موصدة وأن حجم الذين غيروا مذهبهم وانضموا إلى المعسكر الشيعي لا يتناسب إطلاقاً وكل هذه الموجات الهجومية التي استهدفت زعزعة الاستقرار وكسب الأنصار أو ما تم من عمليات تصدير لمبادئ الثورة.

وأوضحت الدراسات أن مساعي نشر الثقافة الإيرانية والترويج لها بين صفوف المسلمين السنة كانت غير مجدية ومخيبة لآمال وطموحات الملالي وتطلعاتهم.

ومن المؤكد أن هؤلاء الملالي قد نسوا ما جرى من تباعد بين العرب والفرس طوال القرون التي أعقبت غزو فارس وضآلة حجم الثقة وعمق الهوة بين الثقافتين، لقد أرادوا القفز فوق تاريخ من الشكوك والمؤامرات والدماء، فلم يحصدوا سوى الفشل.

ولم يحاول زعماء إيران الجدد أن يطرقوا أبواب حسن النية ومحاولة كسب ود مسلمي العالم العربي السنة وإبداء ولو قليل من مؤشرات الثقة لتمهيد الطريق، ولقد كان ذلك ممكناً إلا أن الأمر بهذه الصورة لم يكن مطروحاً أبداً فليس من بين زعماء الثورة من فكر مثلاً في فتح الأبواب للتوصل إلى حل للجزر الثلاث التابعة لدولة الإمارات والتي سبق لإيران الشاه احتلالها.

لقد بدا الأمر وكأن طريق الثورة هو الطريق الذي سيقود المنطقة إلى غد أفضل، وأن انتشار النفوذ الإيراني ومبادئ الثورة والمذهب الشيعي هي العناصر الرئيسية للنهضة روحياً واجتماعياً واقتصادياً وسياسياً وعسكرياً.

ولم يتنبه الملالي الحكام إلى أن الأخطاء التي وقعوا فيها خلال اندفاعهم لتصدير مبادئ الثورة قد أدت إلى زيادة حجم شكوك الملوك والأمراء والرؤساء العرب في النوايا الإيرانية وانحسار الثقة في الطبقة الحاكمة في طهران.

وفيما توالى طهران انتماح سياسة خارجية تقوم على المواجهة لتحقيق الهدف من برنامجها النووي بدعوى أن القنبلة الإيرانية الإسلامية ستتيح توازناً استراتيجياً للقوة في الشرق الأوسط، يبدي قادة الدول العربية والخليجية، ضيقاً إزاء احتمالات امتلاك إيران سلاحاً نووياً، فهم يرون أنه سيهدد استقرار الخليج وأمن العالم العربي.

وتأتى مساعي الهيمنة الإقليمية من جانب إيران في وقت خلص فيه مخطوطها الاستراتيجية إلى أن المرحلة مناسبة لبسط النفوذ الإيراني على الشرق الأوسط بأسره. فالعالم العربي يمر بأضعف حالاته، تمزقاً وتفككاً وتردياً في العلاقات العربية العربية.

وما لم تتمكن «الجمهورية الإسلامية» من تحقيقه بعضا التحالفات والتسليح وتوحيد الرؤى الاستراتيجية «سوريا، حماس، حزب الله» تسعى إلى بلوغه من خلال سياسات الهيمنة الناعمة. عبر توسيع خدمات المراكز الثقافية والدينية التابعة لسفاراتها في العواصم العربية «السودان، لبنان، مصر».

وإذا تقاطعت مواقف دولة عربية مع المخططات الإيرانية فإن طهران مستعدة للتسلح بسياسة «النفس الطويل» لتنفيذ دبلوماسية ناجحة تبقى معدلات توتر مرتفعة في العلاقات الثنائية، لكنها لا تسمح ببلوغ حد الصدام والحرب، تلك هي تماما حال العلاقات الإيرانية مع مصر. وإلى حد ما السعودية، والثابت أن إيران حاولت الانضمام إلى مجلس التعاون الخليجي. وشاركت أطراف في تهيئة ظروف تهيئ لإيران الحصول على مبتهاها، غير أن زعماء دول المجلس وقفوا بصلافة ضد أي «هيمنة» يمكن أن تتخذ واجهات عدة، ولم تظفر الجمهورية الإسلامية بما تريد، لكن نجاحها في استمالة بعض الأطراف خلف صدوعا لا تخفى في جدران التحالف الخليجي.

ويرى سياسيون عرب أن ما يثير قلق الحكومات العربية ليست مساعي الهيمنة السياسية والعسكرية الإيرانية، فطهران تدرك أنه حتى لو كانت الأنظمة العربية ضعيفة وعاجزة ومتشرذمة، فإن طبيعة النظام العالمي ليست في مصلحة الأهداف الإيرانية، فقد خسرت حربها مع العراق في عهد صدام حسين. ولم تريح العراق بأكمله بعد سقوط صدام حسين، ولم تنجح حربها بالوكالة في جنوب لبنان ٢٠٠٦، وغزة ٢٠٠٩، غير أن ما يثير قلقهم هو «الجسارة» الإيرانية في فرض الهيمنة بأساليب «ناعمة» تكتفي بترسيخ التأثير الثقافي والمذهبي والمادي، وقد وصفت بـ«الجسارة» لأن إيران ماضية فيها بروح من يسابق الزمن لتحقيق أهدافه القصوى.

وتشمل أساليب «الهيمنة الناعمة» في الدول العربية زرع خلايا مذهبية نائمة وفاعلة في البلدان العربية. وفتح المراكز الثقافية والمعاهد التعليمية الدينية، وإنشاء المكتبات والمدارس، وتشجيع قيام جمعيات للصدقة الإيرانية العربية. واستخدام القدرات الاقتصادية والتجارية للتغلغل في النشاط الاستثماري.

وما يثير قلق الساسة العرب تجاه إيران دعم الحركات الإسلامية السياسية في بلدانهم، إذ أن طهران كانت تقف وراء الجبهة الإسلامية للإنتقاذ المحظورة في الجزائر، كما أن

تعاونها مع الجبهة الإسلامية القومية فى السودان أثار اتهامات كثيرة وجهت إلى الخرطوم فى مطلع تسعينيات القرن الـ ٢٠. وبلغت الاتهامات طور الزعم بوجود مقاتلين إيرانيين فى صفوف القوات الحكومية التى قاتلت المتمردين فى الجنوب، ولفت عضو المجلس الوطنى «البرهان» الجزائرى عبدالرحمن سعيدى إلى أن إيران تعمل على تنفيذ مشروع «حزب الله المغربى» الذى يستهدف تونس والمغرب والجزائر، وتتردد معلومات عن حملة إيراني- فى نيجيريا تتخذ طابعا مذهبيا.

وإيران من خلال تحالفها مع «دول الممانعة» تحرض على منازلة أمريكا وإسرائيل فى كل مكان. ولكن ليس على أرض إيران. وفى حالتى لبنان وغزة تتجرع الشعوب العربية مزيدا من المرارات والانكسارات والإبادات التى يسارع إعلام «محور طهران» إلى وصفها بالانتصارات.

فى ظل ذلك «التماهى» مع الاستراتيجيات الإيرانية، تعمق الشقاق بين الدول العربية، وأظهرت دول «المحور» اتجاها ثابتا لإلقاء التبعة على بلدان عربية محددة واقتداء بسياسة «تلازم المسارات» التى التزمها الحليف السورى لإيران. واصلت الأخيرة تلازم مسارات الاستهداف، بتصعيد خطير ضد مصر. ولم تكتف طهران باستخدام حركة حماس الفلسطينية، بل جرت معها دولتى «الممانعة» إلى الحملة على مصر.

وتجد دول الخليج العربية نفسها محاصرة بمقدار من التهديدات أكبر مما تواجهه الدول العربية الأخرى التى تستهدفها السياسات الإيرانية. إذ ترى الدول الخليجية أنها ستكون ضحية أولى للطموحات النووية الإيرانية، وليس خافيا مطمع إيران فى هذه المنطقة الاستراتيجية الغنية بالموارد الحيوية. فهى تحتل جزر أبو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى التابعة لدولة الإمارات العربية المتحدة. واعتبرت إحدى الدول الخليجية محافظة تابعة لها. ولها فى العراق تدخلات نجحت فى تقويض أمنه.

وتجمع دوائر سياسية فى بلدان الخليج على أن صد التغلغل الإيرانى يتطلب حكمة وبراعة. ولكن ليس تأنيبا، لأنه يترافق مع الهجمة الإسرائيلية التى لا تزال الهم الأمنى الأول فى الاستراتيجية العربية، وينعقد الإجماع فى هذه الناحية على أن التغلغل الإيرانى وبسط النفوذ إذا لم تتخذ إجراءات «صارمة» لكبحهما، سيكونان أكبر مهددين للأمن القومى العربى والإقليمى. وكتبت صحيفة «ديلى تلغراف» فى يونيو ٢٠٠٨ أن اتفاقية

وقعتها إيران مع دولة عربية مجاورة لمصر تسمح لطهران بنشر صواريخ باليستية فى قاعدة عسكرية قرب عاصمة تلك الدولة بما يهدد فى شكل مباشر أمن السعودية ومصر، كما أن إيران تسعى إلى مد نفوذها إلى أفريقيا المسلمة ذات النشائج التاريخية مع العرب «نيجيريا، السنغال، تنزانيا، كينيا، النيجر».

وفى المعلومات أن قادة عرباً يرون أن تتجه النية إلى تنفيذ حازم لخطوات لم يكشف النقاب عنها لإحباط التغلغل الإيراني، من دون أن يرافق ذلك تصعيد إعلامى.

ويزيد المهمة صعوبة أمام القادة العرب أن إيران لم تستغل الغفلة العربية وحدها للتغلغل فى مفاصل المجتمعات العربية، إذ أنها استفادت أيضاً من أخطاء السياسة الأمريكية خصوصاً فى العراق، وظلت إيران تستغل الانحياز الأمريكى السافر لإسرائيل لاستمالة قلوب العرب. وهو ما سمته صحيفة «كريستيان ساينس مونيتور» الأمريكية «سرقة المفاتيح العاطفية للشوارع العربى».

ويرى البروفيسور بارى روبن أن إيران تعتمد إلى بسط نفوذها من خلال ثلاث أدوات رئيسية هى: الدعاية والتحريض، ودعم الجماعات الموالية لإيران. وتخريب قوة الدولة المستهدفة، ويشير إلى أن طهران تدعم حالياً جماعات متمردة فى أفغانستان والعراق ولبنان وفلسطين وأن مكاسب الاستراتيجية الإيرانية تتجلى بأوضح مظاهرها فى أن أبرز حركتين حليفتين لطهران هما «حزب الله» اللبنانى وحركة «حماس» فى فلسطين، وذلك لا يعنى أن طهران تهيم على هذين التنظيمين هيمنة تامة تملى عليهما كل خطوة يتخذانها. لكنها تتولى تمويلهما وتسليحهما وتدريب مقاتليهما، ما يتيح لها التأثير عليهما.

ولاحظ روبن أن إيران لم تتعظ من فشل لجوئها إلى القوة حين خاضت حرب السنوات الثماني (١٩٨٠-١٩٨٨) ضد العراق. ويبدو أنها تستهين بالاحتمالات المؤكدة لأى تدخل عسكري غربى فى حال تدخلها فى أى دولة عربية أو إسلامية. ووجدت فى نفسها ثقة متنامية بعد الكشف عن قيامها بتطوير برنامجها النووى لانتهاج سلوك أكثر جرأة وخطورة. خصوصاً سلسلة التصريحات «النارية» التى دأب أحمدى نجاد على إطلاقها.

ويخشى المحللون الغربيون أن تحقق إيران حلمها بامتلاك السلاح النووى لتستخدم حلفاء لها فى شن هجمات تستهدف المصالح الغربية والدول العربية المعتدلة التى ترفض الهيمنة الإقليمية الإيرانية. ويحذر البروفيسور روبن من أن إيران «إذا أنجزت ما تريده فستعيق أى فرصة لتسوية سلمية فى المنطقة. وستدفع بها إلى إراقة دماء قد تستمر عقوداً».

ويرى المعلق الأمريكي «بول أولتى»، أن اتخاذ إجراء ضد نزعة الهيمنة الإيرانية «من مصلحة العالم الحر بأكمله. لأن إيران تحلم باستعادة مجد وأراض فقدتها منذ القرن التاسع عشر. فهي تريد استعادة المقاطعات الغربية في باكستان «الحدود الشمالية الغربية وبلوشستان» التي يتحدث غالبية سكانها من البشتون والبلوشيين اللغة الفارسية، كما تتطلع إلى استعادة رقعة واسعة في منطقة القوقاز ضمتها الإمبراطورية الروسية خلال القرنين الـ ١٨ والـ ١٩، كما تتطلع إلى استعادة أراضى «أذربيجان وأرمينيا».

ويعتبر الإيرانيون أن جورجيا التي كانت محافظة فارسية في عهد الساسانيين يجب أن تعود إلى أحضانهم، أما العراق فهو أصلاً جزء مما كان يسمى إيران الكبرى.. ويقول «أولتى» إن إيران تدرك أنها لن تستطيع تحقيق مطامعها التوسعية في آسيا الوسطى وباكستان وأفغانستان لأن روسيا والنظام العالمى الجديد لن يسمحا، لكنها تشعر بأن فى استطاعتها إحراز تقدم على جبهة الشرق الأوسط، خصوصا البلدان العربية.

وهناك بعد آخر لقضية التوسع الإيرانى على حساب العالم العربى أشار إليه «تريت بارسى» مؤلف كتاب «التحالف الخائن: الصفقات السرية بين إسرائيل وإيران والولايات المتحدة» (منشورات Trilateral الولايات المتحدة ٢٠٠٧) حيث يقول: إن العوامل الجيوسياسية وليس الأيديولوجية تحكم العلاقات بين الدول الثلاث، ولذلك فإن حلا يتم التفاوض عليه للتنافس الاستراتيجى بينهما سيكون من شأنه تسهيل حل نزاعات المنطقة.

ويشدد المؤلف على أن التنافس بين إيران وإسرائيل ينصب على الهيمنة على العالم العربى. ويؤكد أن التنافس لم يبدأ عادة الثورة الإسلامية فى ١٩٧٩. بل هو استمرار لعهد الشاه، لذلك تشعر إيران بأن مصيرها العزلة إذا هيأت الظروف لإسرائيل صلحا مع خصومها العرب، ويفسر ذلك معارضة طهران الدائمة لأى تسوية بين العرب وإسرائيل.

ويرى «بارسى» أن إسرائيل تخشى الورقة «الإسلامية» التي تلوح بها إيران وتحاول نشرها فى العالم العربى ليتسنى لها توسيع نفوذها.

ويضيف أنه لذلك السبب حين تكون «العلاقات» الإسرائيلية العربية فى أسوأ حالاتها من التدهور والتوتر. يشهد التنافس بين إيران وإسرائيل استرخاء ملحوظا.

ويكشف الكتاب أن إسرائيل سعت بعد الثورة الإسلامية إلى تحسين علاقاتها مع إيران. على أمل أن يتيح ذلك تهدئة طفيفة فى النزاع العربى الإسرائيلى. والمثير أنه حين

رفعت إيران صوتها إبان ثمانينيات القرن الـ ٢٠ معلنة تأييدها للقضية الفلسطينية، طلبت جماعات الضغط «اللوبي» اليهودى فى واشنطن عدم الاكتراث بالتهديدات الإيرانية. باعتبار أن إيران لن تقدم على تنفيذ أى منها.

بيد أن الصورة تغيرت بعد عام ١٩٩١، فحين سعت الولايات المتحدة إلى سلام بين العرب وإسرائيل، عمدت إيران إلى تفعيل خلاياها النائمة فى فلسطين لإطلاق سلسلة من العمليات الانتحارية داخل إسرائيل بهدف عرقلة عملية السلام.

ويؤكد «بارسى» أن عملية السلام تضر المصالح الجيو - سياسية لإيران، إذ يعنى نجاحها إزاحة الأطراف العربية، خصوصا سوريا، بعيدا عن إيران وبما يؤدى إلى عزل طهران استراتيجيا فى المنطقة.

ويضيف أن إيران ترفض السلام بين العرب وإسرائيل، لأن من شأن التسوية أن تتيح شروطا أكثر مرونة لوجود عسكري أمريكي فى الشرق الأوسط.

ويوضح المؤلف أن إسرائيل فى سياق ردها على تعاطف قوة «حزب الله» اللبناى عمدت طبقا لتقرير بثته «هيئة الإذاعة البريطانية» (بى بى سى) إلى إنشاء قوة «عميلة» لها فى العراق، قوامها جماعات كردية، تستطيع التسلل إلى شمال غربى إيران لجمع المعلومات الاستخباراتية. ويكشف أن إيران قامت بعد الغزو الأمريكى للعراق عام ٢٠٠٣ بتوجيه رسالة إلى البيت الأبيض تعلن فيها استعدادها لتقديم «تنازلات كبيرة» لاستباق أى عدوان أمريكى قد يستهدف النظام الإيراني.

ويشمل العرض سحب الدعم لـ «حزب الله» و«حركتى» «حماس» و«الجهاد الإسلامى» وكذلك استعداد طهران لإعلان موافقتها على مبادرة السلام العربية التى أقرتها قمة بيروت العربية. وأضاف أن إيران عرضت أيضا على البيت الأبيض وقف برنامجها النووى والتعاون فى إعمار العراق، إذا سلمتها الولايات المتحدة مقاتلى منظمة «مجاهدى خلق» المعارضة، فى مقابل تسليمها عناصر تنظيم «القاعدة» الذين لجأوا إليها من أفغانستان. بيد أن نائب الرئيس الأمريكى السابق ديك تشينى ووزير الدفاع السابق دونالد رامسفيلد رفضا العرض الإيراني، بدعوى أن إدارة جورج بوش «لا تتحدث مع الأشرار»، وزاد: «بل إن إدارة بوش وبخت الرسل السويسريين الذين حملوا العرض الإيراني بدعوى أنهم تجاوزوا مهمتهم فى تمثيل المصالح الأمريكية فى إيران».

ويورد «بارسى» أن إيران أطلقت في الوقت ذاته عرضا مماثلا قصدت به إسرائيل، اقترحت عليها بموجبه أن يتفق الطرفان على احترام منطقة نفوذ كل منهما، وبذل كل جهد ممكن لتفادى الصدام. لكن إسرائيل رفضت العرض، بدعوى أن إيران تسعى إلى كسب الوقت فحسب.

## المشروع الفارسي

عندما نتحدث عن تصدير مبادئ الثورة الإيرانية. فإن ذلك يعني تصدير فقه المذهب الشيعي الإمامي الاثني عشرى، ودستور ولاية الفقيه. أى الذى يجعل الملالي مسئولين مسئولية كاملة عن مسئولية الحكم بكل أبعادها وشمولها، وذلك لا يعنى سوى أن تصبح مدينة «قم» الإيرانية هي المرجعية الدينية للمسلمين، ومنها تصدر قرارات تعيين القيادات الدينية وأن يكون مرشد الثورة الذى يحتل مقعد القمة هو المرشد لكل البلاد والمناطق التى ستخضع للنفوذ والسطوة الإيرانية.

وهذه المبادئ باختصار هي الإطار العام للمشروع الفارسي في مرحلته الجديدة. ونقول الجديدة لأن إيران لم تتوقف عبر تاريخها عن التطلع لمثل هذا المشروع بعد انطواء صفحة الإمبراطورية الفارسية.

ومنذ استولى الملالي بزعامة الخميني على السلطة عام ١٩٧٩ وهم لا يتوانون عن بذل الجهد لتصدير مبادئ الثورة التى رأوا فيها مدخلا جيدا للمشروع الفارسي. ولم تستمر الانطلاقة الإيرانية لأكثر من ١٨ شهرا، فقد أطلق صدام حسين الحرب من عقابها وصبت المدافع العراقية نيرانها على القوات الإيرانية عبر الحدود واجتازت جيوش صدام خط الحدود في سبتمبر ١٩٨٠، لتشهد المنطقة وتعيش حرب تدخل ضد الثورة يقوم بها العراق نيابة عن القوى الغربية صاحبة المصلحة في هذه الحرب، وكان اندفاع صدام مستندا إلى أوام صورت له أن هذا الطريق هو الطريق الذهبى لتحقيق طموحاته الشخصية والإقليمية.

وبعد انطواء صفحة الحرب. لم يستطع حاكم العراق أن يكبح جماح نفسه واندفع بلا ترو باتجاه الكويت فى أغسطس عام ١٩٩٠ ليتورط فى معركة انتهت بسقوطه فى مستنقع الهزيمة والعار والانكسار إلى أن تم غزو العراق واحتلاله ابتداء من عام ٢٠٠٣. ثم إلقاء القبض على صدام ومحاكمته وإعدامه.

وإذا كانت حماقة صدام قد قادته وقادت العراق إلى موقف مأساوى . فإنها أدت أيضا إلى زيادة حدة الانقسام بالعالم العربى ، وعرفت المنطقة المنقسمة أساسا حالة من الفوضى والتفتت غير مسبوقه على الأقل فى التاريخ المعاصر. وكان منطقيا أن تستغل إيران الفرصة لتدفع بالمشروع الفارسى إلى مقدمة المسرح مجددا بعد أن انفتحت فى جدران العالم العربى عشرات الثغرات التى يمكن النفاذ منها ، ودون تردد أقدمت إيران على تغيير الأمر الواقع فى جزيرة أبو موسى بالقوة. وكانت خطوة على الطريق.

وقبل أن نمضى فإننا نود أن نوضح أن المشروع الفارسى مشروع عدوانى توسعى ، ولا يتوقف عند حدود منطقة الخليج ، ولكن يعتبرها الخطوة الأولى والأساسية. وهم يرون أن الخليج فارسى بالرغم من أنهم لم يسيطروا على جانبى الخليج إلا لفترات قليلة فى حين دانت السيطرة للعرب تاريخيا على جانبى الخليج لعقود متصلة وفترات تتجاوز بكثير هذه الفترة القصيرة التى يستند إليها الإيرانيون تاريخيا ، ووصل الأمر إلى حد المطالبة بإطلاق اسم الامبراطور الفارسى «داريوس» على قناة السويس عندما تصاعدت المطالبة بتصحيح اسم الخليج ليصبح الخليج عربيا.

والمشروع الفارسى لا يكتفى بالتمدد السياسى بل يتطلع إلى الزعامة الدينية. فالملاى مقتنعون بأن المذهب الشيعى هو الأحق بأن يسود وتكون له الكلمة العليا. والتمدد السياسى والزعامة الدينية لن يتحققا بالضرورة إلا على حساب المسلمين السنة والعالم العربى. وإذا أخذنا بنظرية المؤامرة، فإن ذلك يمثل استمرارا لدور الشيعة الإيرانية فى القضاء على دولة الخلافة العثمانية السنية والذى استمر منذ عام ١٥٠٠ وحتى عام ١٩٢٤ أى أن المخطط ظل متواصلا لمدة ٤٢٤ عاما.

وإذا لم نأخذ بنظرية المؤامرة، فإن للثورة الإيرانية مثلها فى ذلك مثل أى ثورة أن تتطلع إلى ما وراء حدودها لنشر أفكارها ومبادئها لتكسب مزيدا من الأرض والنفوذ الذى ترى أنه حق لها. والذى ترى فيه أنه لصالح شعوب المناطق التى ترنو إليها وتخطط من أجل الوثوب إليها، وبالرغم من وضوح هذه الحقائق فإن الحسابات الضيقة لبعض الحكام فى منطقة الشرق الأوسط دفعتهم للتحالف أو للتعاون مع حكام إيران.

وبجانب هذه الدول التى اختارت التعاون أو التحالف مع إيران لجأ أئمة طهران وقم للاعتماد على حزب الله بصفة خاصة والشيعة فى لبنان بصفة عامة للانطلاق. كما أنها

ترتكز إلى الكتلة الشيعية بالعراق وبدول الخليج لتحقيق أهدافها وطموحاتها. وتتصور أن الفرصة أمامها كبيرة في ظل اختلال سكاني ووجود شيعي وعمالة إيرانية لممارسة مزيد من الضغوط.

وبجانب نقاط الوثوب والارتكاز ومساحات الحركة المتاحة، تعمل إيران بدأب لا على نشر المذهب الشيعي فقط، بل وعلى جذب الآلاف تلو الآلاف من الشباب العربي والأفريقي من مختلف الدول ومنها مصر لمعسكرات التثقيف والإعداد والتدريب داخل إيران، خاصة بالعاصمة السياسية طهران والدينية قم، أو بمدينة مشهد لتعلم المذهب والفقهاء الشيعي، وفي سبيل ذلك ينفقون عن سعة.

وهناك حقيقة تدعونا للتنبه والتأمل ومراعاتها أثناء أى حسابات سياسية وهي أن الإيرانيين أحفاد بناء الإمبراطورية الفارسية لا يريدون أن ينسوا هذا التاريخ ولا أن أجدادهم حكموا هذه المناطق، ولا يبارح خيالهم أنهم احتلوا مصر مرتين، ولا أن مصر كانت شيعية تحت حكم الفاطميين وأن الأزهر كان مقرا للفقهاء الشيعي، وإذا كان اسم أم القرى لا يطلق إلا على مكة وحدها من بين دول العالم، فإن الإيرانيين أقدموا على خطوة غير مسبوقة إذ أطلقوا اسم أم القرى على مدينة قم.

ونعود إلى الدول التي اختارت التحالف أو التعاون مع إيران ولو مرحليا، فنوضح أن مثل هذه العلاقة ستتيح لإيران الفرصة لمحاولة تغيير الهوية المذهبية. وفيما لو حققت أى قدر من النجاح، فيشكل ذلك خطرا عليها، فالأمور لن تصبح أبدا كما كانت قبل بدء هذه العلاقة. وأى نجاح تحققه إيران يعطى قادتها الإحساس بأنهم قد اقتربوا من تحقيق أهدافهم. وإذا كانوا فى طهران وقم يعلمون ماذا يريدون. ويعملون بكل همة من أجله. مستغلين فى ذلك هذه الفترة الانتقالية التى يمر بها العالم الآن، بعد أن انطوت صفحة المعسكر الشيوعى والحرب الباردة، وهناك بين صفوف قادة إيران الآن إدراك للمخاطر التى يمكن أن يتعرضوا لها نتيجة تطلعاتهم. لذا فهم يحاولون فى كثير من الأحيان التزام الحذر حتى لا يتعرضوا لنكبة مماثلة لنكبة صدام. ولكن الأهم من الحذر أنهم يحاولون بيع المشروع الفارسى الغرب باعتباره الوسيلة المناسبة للدفاع عن مصالحه فى المنطقة، وأن دورهم الإقليمى لا يتعارض مع هذه المصالح بل يساعد على تحقيقها، وهناك فى خلفية الصورة دور الشيعة الإيرانيين تحت قيادة الصفويين فى القضاء على الإمبراطورية العثمانية دولة الخلافة الإسلامية. وبالتالي فمن

بين القيادات الغربية من لا يرى بأساً في استخدام الإيرانيين لناوأة السنة وسحب الأرض من تحت أقدامهم سواء بنشر المذهب الشيعي ليصبح المذهب الأكثر انتشاراً بين المسلمين أو باحتدام الصراع على الزعامة الدينية داخل الصف الإسلامي وما يمكن أن يترتب على ذلك من صراعات، وبالنسبة للغرب فليس هناك ما هو أفضل من صراع إسلامي إسلامي، ومثل هذا الصراع يمكن استخدامه كبديل لصراع غربي إسلامي، ومثل هذا الصراع الشيعي السني الذي يؤدي إلى تجسيد الخطر الإيراني يمكن أن يساعد على تحقيق الأهداف التالية:

- اتمام سيطرة الغرب على بتروال المنطقة.
- إقناع دول المنطقة بأن المظلة الغربية هي أفضل وسيلة للحفاظ على الأمن.
- دفع هذه الدول لتكديس السلاح وزيادة حجم ترسانتها العسكرية عبر صفقات جديدة تساعد على دوران عجلة الصناعة العسكرية الغربية وتخفف من نسبة البطالة.
- وظالمنا ظل الصراع الإيراني الخليجي والإيراني العربي يدور داخل الخطوط أو الدوائر التي يحددها العالم الغربي، فإن ذلك يساعد على استمرار التوتر وبالقدر المحسوب الذي لا يشكل خطراً على مصالح الغرب. بل حماية لهذه المصالح، أما لو رأت إيران تجاوز هذه الخطوط لحساب مشروعها الفارسي. وبشكل يهدد المصالح الغربية. فسيكون للغرب موقف آخر.

### وجوه عربية للمشروع الإيراني

أكدت الأحداث المتسارعة في إيقاعها أن المنطقة تشهد صراعاً متصاعداً الوتيرة بين مشروعين سياسيين:

أولهما هجومي وعدواني تقوده إيران بالتحالف مع سوريا وحزب الله في لبنان ومنظمة حماس في غزة يستهدف التوسع وبسط النفوذ والسيطرة على المقدرات في المشرق العربي بصفة خاصة وكمرحلة أولى تليها مراحل أخرى في باقي المنطقة.

ثانيهما دفاعي يعمل من أجل حماية الإقليم ككل من المشروع الإيراني بجذوره الفارسية وحاضره الشيعي الثوري المندفع بشراسة غير مسبوقة. وكأنه في سباق مع الزمن. أو هو كذلك فعلاً، ويمسك بدفة هذا المشروع قوى عربية كثيرة في مقدمتها مصر والمملكة العربية السعودية، وكان لافتاً للنظر أن المشروع الإيراني وجد وجهاً أو وجوهاً عربية تنصدر المسرح بالنيابة عنه، وتتنطق وتعبر كممثلة له بل وتمتلك الجرأة لتدعو أحمدى نجاد

رئيس الجمهورية الإيرانية لحضور تجمع عربي في الدوحة عام ٢٠٠٩ أصرت عليه الدولة المضيفة بالرغم من عدم اكتمال نصاب القمة الطارئة التي دعت إليها. والذين تصدروا الساحة كممثلين لإيران، والذين ساندوهم. كانوا يعلمون أن القمة الاقتصادية والتنموية والاجتماعية هي أول قمة عربية تتصدى لمشكلة التخلف في العالم العربي بعد أكثر من ٦٠ عاما من الفشل في هذا المجال، وأن العمل الجاد قد تواصل على امتداد ما يقرب من عامين من أجل الإعداد الجيد لها ومع ذلك طرحت خطة في اجتماع وزراء الخارجية بالقاهرة تطلب عقد قمة من أجل وقف المجزرة الإسرائيلية في غزة، والتي بدأت يوم ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٨ وبعد أن ناقش المجتمعون الاقتراح القطري قرروا التوجه إلى مجلس الأمن أولاً.

وسارت الأمور على عدة محاور. جهود عربية في مجلس الأمن لوقف العدوان، أثمرت إصدار قرار بوقف إطلاق النار يحمل رقم ١٨٦٠ ومبادرة مصرية كانت هي المبادرة الوحيدة الموجودة على الساحة. كما أنها نالت قبول المجتمع الدولي ودارت من حولها المفاوضات من أجل التوصل إلى حل للعدوان الإسرائيلي على غزة ووقف حمام الدم، واشتركت منظمة حماس وإسرائيل في الجهود والمفاوضات بجانب قوى دولية وإقليمية يوماً بعد يوم كانت الجهود تقترب من النتائج المرجوة.

والمحور الثالث الاستمرار في الإعداد لقمة الكويت وبدء اجتماعات وزراء الخارجية والمالية وباقي الأطراف المعنية.

وقبل ساعات من اجتماع القمة، فوجئ العالم العربي بدعوة قطرية لقمة طارئة من أجل غزة تعقد يوم الجمعة ١٦ يناير أي قبل ثلاثة أيام فقط من بدء أعمال قمة الكويت، وبذل المسئولون في قطر طوال يوم الخميس ١٥ يناير جهوداً محمومة لإقناع الملوك والأمراء ورؤساء الجمهوريات العرب بالاشتراك في هذه القمة. وبهذه الدعوة أطل المشروع الإيراني بقوة على الساحة، وكان أول وأهم ثماره تأكيد حضوره وتأثيره. ووجود أنصار له. أما الانقسام العربي فهو ليس أكثر من عرض لمرض عربي مشهور. فمنذ اقتتال القبائل العربية في منطقة شبه الجزيرة. ومن أبرز علاماتها حربا البسوس، وداحس والغبراء. لم يعرف العالم العربي سوى الانقسام، وما يرتبط به من صراعات حول الزعامة والقيادة ولم يتأخر الرد المصري والسعودي. فقد أعلنت الدولتان أنهما لن تشاركا في قمة الدوحة.

وقررت السعودية توجيه الدعوة لعقد قمة لدول مجلس التعاون الخليجي في الرياض يوم الخميس ١٥ يناير.

وكان القرار عدم المشاركة في قمة الدوحة، وفعلا لم تشارك أى دولة خليجية في هذه القمة فيما عدا قطر، مثل هذا الموقف، شكل صدمة وجرحا لأنه أوضح بصورة جلية حقيقة من يملك الأوراق في المنطقة. ولمن النفوذ والكلمة.

وفى النهاية لم يحضر هذا الاجتماع سوى عدد محدود من الدول العربية لا يشكل نصابا بالإضافة إلى إيران والسنغال وقادة منظمات حماس والجهاد والجبهة الشعبية لتحرير فلسطين القيادة العامة. وليس لهذه الخطوة من دلالة، سوى تكريس الانقسام الفلسطيني. وهذا النهج مارسته وتمارسه إيران منذ عدة سنوات بشكل منهجي. وبعد هذا الحضور الإيراني. ثارت التساؤلات حول الأسباب، لأن المقطوع به أن إيران ليست دولة عربية، كما أنها لم تطلق طلقة واحدة باتجاه إسرائيل بالرغم من أنها تملك صواريخ أرض - أرض متوسطة المدى أى يمكنها إصابة أهداف داخل إسرائيل، حتى يمكن القول إن حضورها إنما هو تكريم لدورها في القتال ضد إسرائيل. إذن لا يبقى سوى أن هناك أسبابا موضوعية للتلاقى القطرى الإيرانية حتى ولو أدى إلى الابتعاد عن المحيط العربى.

وذلك قريب من الموقف السورى إن لم يكن مماثلا له في اختيار التحالف مع إيران على حساب العرب. وإذا كان المراقبون على بينة من أن المشروع الإيرانى الشيعى لا يمكن أن يحقق النجاح إلا على حساب كل من مصر والسعودية. لذا فإنهم يدركون أن أصحاب هذا المشروع وأنصاره لن يتوقفوا عن محاولة حصار وعزل وإحراج كل من القاهرة والرياض، ولم تخرج قرارات مؤتمر الدوحة عن هذا التوجه، وإذا ما توقعنا أمام قرار تجميد العلاقات مع إسرائيل، فسنستبين أن المجتمعين قد غاب عنهم أن هناك مبادرة مصرية، وأن هذه المبادرة هى الوحيدة على الساحة، وأن مصر هى التى تقود المفاوضات بين حماس وإسرائيل، وتعمل بالتعاون مع قوى دولية وإقليمية، وأن استجابة مصر لهذا القرار تعنى توقف هذه الجهود، وترك حماس فى مواجهة آلة الحرب الإسرائيلية وحدها. بعد أن تخلت عنها كل من إيران وسوريا وحزب الله، فهل أراد المجتمعون ذلك. أم أنهم ركزوا فقط على محاولة إحراج مصر باعتبارها الدولة التى وقعت معاهدة سلام مع إسرائيل وتقيم معها علاقات دبلوماسية، بالإضافة إلى الأردن؟

١

بعد أن تمكن الإمام آية الله روح الله الخميني من التربع على قمة السلطة في إيران مرشدا وموجهها وقابضا على مقاليد الأمور بعد أن حققت الثورة نجاحها، كان طبيعيا أن يعيد صياغة الأساليب والمناهج المتبعة في صناعة السياسة الإيرانية داخلية كانت أم خارجية على ضوء أفكار الثورة ومبادئها وتحت ضغوط التيار الهادر للمصالح الجديدة التي ترتبت على وصول الثوار لمقاعد الحكم وكان مفهوما أن تتبنى الثورة منهجا متشددا. وأطلق الثوار الأكثر تشددا حملات متوالية من العداء ضد كل من الولايات المتحدة وإسرائيل. وأصبحت الأولى تعرف باسم الشيطان الأكبر أما الثانية فأطلق عليها الشيطان الأصغر.

وفجر الملالي وحلفاؤهم براكين الغضب ووثب الشيوعيون إلى مقدمة الصفوف واحتلوا السفارة الأمريكية. وبالتعاون مع النظام السوري عثر الثوار على موطئ قدم في لبنان. كل ذلك كان يجرى خلال الأشهر التي أعقبت نجاح الثورة في ربيع عام ١٩٧٩، وفي نفس الربيع كانت مصر وإسرائيل توقعان اتفاقا للسلام بدعم من الولايات المتحدة الأمريكية. وبكل قوة تبنت الثورة الإيرانية مبدأ قطع العلاقات الدبلوماسية مع أي دولة تعقد سلاما مع إسرائيل، ورفع الملالي الشعار، ووضعوه موضع التنفيذ مع مصر. ولم تفعل إيران أكثر مما تفعله قمة بغداد العربية، فقد انعقدت القمة وقررت عزل مصر ونقل مقر الجامعة العربية إلى تونس لا مجرد قطع العلاقات معها.

ولم يكن لما فعلته إيران وزن مؤثر على مسيرة الأحداث لا داخليا ولا خارجيا. وكان واضحا أن هذا التوجه في سياسة العالم العربي والثورة الإيرانية يتعارض مع التوجه العام العالى الذى رحب بهذه الخطوة السلامية بل وقرر دعمها بالمساعدات الاقتصادية.

ولقد كانت هناك عوامل أخرى تدفع الملالي للنقمة على مصر. ولم يكن استقبال السادات للشاه سوى التكاأة أو المبرر لمعاداة مصر فلقد كان للثورة والثوار أهداف ومصالح لا يمكن تحقيقها فى وجود مصر القوية، ومن هذه الأهداف السيطرة على منطقة الخليج ونشر المذهب الشيعي وتصدير المبادئ الثورية.

وبالنسبة لهذه تقف مصر كالسد الذى يحول دون تحقيقها أو على الأقل كعقبة رئيسية ،  
فمصر هى القوة العسكرية والسياسية والمعنوية والبشرية التى تحول دون انطلاق إيران بقوة  
باتجاه دول منطقة الخليج .

أما نشر المذهب الشيعى فدونه وجود الأزهر قلعة السنة والفكر السنى . أما المبادئ  
الثورية فتتكسر أواجهها على الشاطئ المصرى . وبالنسبة للمبادئ فقد أفرغتها إيران من  
مضمونها سياساتها .

المهم أن سفينة مقاطعة مصر وسواء كان الريان عربيا أو فارسيا قد مضت تبهر عكس  
التيار ، فى حين مضت مصر تستعيد أرضها المحتلة مرحلة اثر أخرى بنجاح ، أى أن  
العمل السلبي الراض كان يمضى فى طريقه . والعمل الإيجابى المصرى كان يشق طريقا  
نحو المستقبل والسيادة الكاملة على كل الأرض المصرية المحتلة .

ومع كل نجاح مصرى ، كان الرفض العربى يتخلخل حتى انهارت قوى الرفض . بل  
وانتهى بها الأمر إلى اللحاق بقطار السلام أو فلنقل بالعربة الأخيرة لهذا القطار التى  
نعرفها فى مصر باسم «السببسة» أى أنهم قفزوا إلى مسيرة السلام فى الدقيقة الأخيرة من  
الساعة الرابعة والعشرين .

ولم تمارس مصر ولا شعبيها الشماتة فى هؤلاء الذين تنبهوا مؤخرا إلى صواب القرار  
المصرى ، خاصة وهم يلومون أنفسهم على أنهم كان يمكن أن يحققوا الأفضل فيما لو لم  
يقعوا فى الخطأ .

وأيا لم تدر مصر ظهرها لهم ، بل وضعت كل خبراتها لدعم مسيرتهم السلمية  
ووظفت كل طاقاتها لتحقيق أكبر قدر من التقدم على طريق السلام .

ومصر التى لم تشمت أو تدر ظهرها للقوى العربية التى سبق أن حاولت عزلها لم تحاول  
توجيه اللوم لإيران للتناقض فى مواقفها السياسية ، فإيران التى سارعت بقطع العلاقات  
الدبلوماسية مع مصر ، هى نفس الدولة التى سعت بكل قواها لدعم علاقاتها مع تركيا  
صاحبة العلاقات الوثيقة والقوية مع إسرائيل .

ولم يكن ذلك هو التناقض الوحيد ، فقد أدى تساقط الأنظمة الشيوعية وتفتت الاتحاد  
السوفيتى إلى نيل عدد من الدول التى تقطنها أغلبية إسلامية عضوية منظمة المؤتمر الإسلامى ،  
وهذه الدول منها دول تجمع بينها وبين إيران عامل أو أكثر من عوامل اللغة والجوار والمذهب

وهذه الدول ومنها أذربيجان وكازاخستان وتركمانستان وطاجيكستان وقرغيزيا بالإضافة إلى اليابان والبوسنة والهرسك اعترفت بإسرائيل وتبادلت معها التمثيل الدبلوماسي، ولم يترتب على ذلك قطع العلاقات الدبلوماسية معها. بالرغم من استمرار رفع الشعارات الإيرانية وتبنى نفس السياسات المتشددة.

ولم تتوقف الصحافة المصرية أو الحكومة لطرح القضية على الرأي العام.

هذا التناقض بين الشعار والتطبيق، لم يكن يليق بثورة ترفع رايات الإسلام!!

وبعد توقيع منظمة التحرير الفلسطينية لاتفاق سلام مع إسرائيل لم تجد إيران الشجاعة الكافية لقطع العلاقات مع الفلسطينيين ولم تجد الشجاعة لمراجعة الموقف الإيراني ككل. وفي إجابة عن سؤال يوم الثلاثاء ٣١ مايو ١٩٩٤ حول الموقف الإيراني من سوريا فيما لو توصلت لاتفاق سلام مع إسرائيل، قال حجة الإسلام على أكبر ناطق نوري المتحدث الرسمي باسم المجلس الإسلامي والذي أعيد انتخابه يوم ١٣ مايو رئيسا لمجلس الشورى إن إيران لن تقطع علاقاتها مع سوريا. وبعد ذلك بأسبوع أي يوم ٧ يونيو أعلن الرئيس الإيراني رافسنجاني في مؤتمر صحفى بطهران استبعاد قطع العلاقات مع الدول التي توقع سلاما مع إسرائيل.

وإذا كانت إيران قد أسقطت الشعار عمليا، فلماذا إذن لا تبعث به إلى مخزن

الشعارات؟

والسؤال يبدو وجيها. ولكن إجابته ليست عسيرة، فإيران تتبنى موقفا متشددا. لا من أجل السياسة والعمل الدبلوماسي، بل من أجل أن تظل جسورها قوية مع المنظمات الإرهابية التي ترفع رايات الإسلام، والتي توظفها لتحقيق أهدافها. ومازالت إيران تقدم كل أنواع الدعم للكثير من هذه المنظمات، لتظل قادرة على ممارسة العنف لزعزعة استقرار الدول التي تتخذها ميدانا لنشاطها، ومن بين هذه الدول مصر التي تحتل مركزا متقدما، والتي مازال الملاي يتطلعون ليوم تفقد فيه اتزانها وقوتها واستقرارها.

أما الشيطان الأكبر والشيطان الأصغر فلكل منهما ملف يكشف حقيقة الاتصالات التي دارت خاصة في الشوارع الخلفية، ولن نشير إلى العلاقات الإيرانية الإسرائيلية، خاصة خلال سنوات الحرب الإيرانية العراقية والتي مازالت مستمرة حتى الآن، ولكننا سنعود لنؤكد أن المخططات الإيرانية المعادية لمصر مازالت مستمرة. وأن القوى المسيطرة الآن في

معظمها ترى أن الطموحات الإيرانية تصدم بالحضور المصرى القوى فى المنطقة وإذا كان العالم بمتغيراته الحادة قد فرض على الجميع مراجعة سياساتهم. فإن إيران ليست استثناء، ولكن الأمر بالنسبة للثورات والقيادات الثورية يستغرق وقتاً أطول، بين الأجنحة المختلفة. وسيطرة الغوغائية والديماغوجية على الشارع السياسى له اعتبار ووزن كبير.

٢

مع استمرار احتلال الجولان الذى بدأ عام ١٩٦٧ وقطف مصر ثمار السلام مع إسرائيل، ومن أهمها استعادة سيادتها على كل أراضيها المحتلة. يشعر النظام بالحرج البالغ. لذا يتبنى سياسة مزدوجة تقوم على رفض السلام والهجوم على مصر، والبحث عن طريق للسلام من خلال عواصم عالمية وإقليمية، آخرها أنقرة العاصمة التركية، ولا يتوقف عن خوض تجربة المفاوضات مع إسرائيل. وعلى نفس النهج يهاجمون أمريكا بالأقوال، ويطلبون إشرافها على المفاوضات فى نفس الوقت. أما التحالف مع إيران فيستهدف الاستناد إلى حليف إقليمى شيعى يحمى النظام الشيعى السورى من العزلة الدولية والإقليمية ويوفر الدعم السياسى والاقتصادى. مقابل دعم طموحاته الإقليمية وسعيه المحموم لاستكمال مشروعه النووى والمشاركة بدور رئيسى فى صراعات المنطقة من خلال تحالف يجمع بين إيران وسوريا وحزب الله ومنظمة حماس، ومع أن إيران لم تتوقف عن التعاون مع إسرائيل سواء فى عصر الشاه أو عصر آيات الله، فإنها تتبجح وتعلن العداء لإسرائيل، وتتوعد وتهدد. أما التعاون فهو معلومات مؤكدة وموثقة، وعلى سبيل المثال، فإن معظم الوقود التى استخدمته القوات الإسرائيلية فى معركة يونيو ١٩٦٧ كان من إيران، أما فى عصر آية الله الخمينى قائد الثورة الإيرانية فقد أزيح الستار عن انغماسه فى فضيحة إيران الكونترا أو إيران جيت، وهى عملية أمريكية إسرائيلية إيرانية مشتركة لدعم منظمة الكونترا فى نيكاراغوا التى تعمل ضد نظام السانديستا الشيوعى وكان من الشخصيات الرئيسية فى المؤامرة أوليفر نورث أحد أهم مساعدى الرئيس ريجان، ويعقوب نمرودى رجل الأعمال والأمن الإسرائيلى، وآية الله الخمينى شخصياً، وهناك من يصدق شعارات العداء الإيرانية لإسرائيل، ولكن الوقائع أقوى من كل الادعاءات.

ومنذ أيام الثورة الإيرانية الأولى والاندفاع لتصدير مبادئ الثورة، واجه المخططون والمسئولون حقيقة قوة وحضور كل من مصر والمملكة السعودية كقوتين سنيتين إقليميتين،

وقد عرقلت الحرب العراقية الإيرانية ١٩٨٠ - ١٩٨٨ مشروع تصدير الثورة. ولكن آيات الله عادوا بعد وقف إطلاق النار مع العراق إلى العمل بقوة من أجل تصدير الثورة، ووضعوا مخططا يعتمد على إزاحة مصر من الطريق وإصابة السعودية بشروخ اعتمادا على نشر التشيع والانقسام الداخلى وتوفير التمويل السخى لكل القوى المتعاونة، وفى مقدمتها سوريا وحزب الله وحماس، ومواصلة الضغط بكل السبل على النظام فى الدولتين، إعلاميا ومذهبيا وسياسيا، وتصدير مبادئ الثورة هو بداية الطريق لبناء إمبراطورية إيرانية فى المنطقة، خاصة فى كل الشرق العربى. وخلال السنوات القليلة الماضية، حقق المشروع قدرا كبيرا من النجاح، فها هى إيران تسيطر على القرار العراقى، وتتوسع فى مناطق الجنوب الشيعية. أما فى لبنان فقد أصبح حزب الله قوة فى الشارع، وداخل مجلس الوزراء امتلك مناصب وزارية تكفل له منع صدور أى قرار يؤثر على أهدافه أو نفوذه. هذا بجانب الكتلة الشيعية الحاكمة فى سوريا. أى أن الحزام الشيعى الذى يمتد من إيران مرورا بالعراق وصولا إلى سوريا ولبنان اقترب من أن يصبح واقعا، ومثل هذا الأمر يوفر نقطة انطلاق للتأثير بقوة فى كل دول شبه الجزيرة العربية التى تضم فى معظمها كتلا شيعية رئيسية وفعالة، وإرغام العالم العربى على الانحسار إقليميا. وخلال عامى ٢٠٠٩ و ٢٠١٠ وجدت إيران فى التعاون مع المتمردين الحوثيين الشيعة فى اليمن ومع منظمة القاعدة السنية طريقا للوصول بنفوذها ومخططاتها إلى هذه المنطقة الحيوية لتهديد جنوب المملكة السعودية، والتأثير على جنوب البحر الأحمر وعدد من دول الساحل الشرقى لأفريقيا.

والمشروع النووى الإيرانى جزء رئيس فى المشروع الإمبراطورى ومخططات السيطرة والتوسع على حساب دول المنطقة، والسعى المحموم الآن هو استغلال فترات الضعف الأمريكى للخروج بصفقة تضمن لإيران مكانة القوة الإقليمية العظمى ولا بأس من اقتسام النفوذ مع إسرائيل وتركيا.

٣

تختلط الشعارات بالأوهام والواقع بضجيج الدعاية المتواصلة والضغوط التى لا تعرف التوقف من الأطراف المختلفة للقضية الفلسطينية، فلا يتمكن المراقب من معرفة الحقيقة فى العلاقات الفلسطينية الإيرانية.

ويتطلب الأمر العودة إلى نقطة البداية ولكن لنسمع ماذا يقول الإيرانيون أولاً وأهم ما يبدأون به الحديث القول إن ثورتهم الخمينية قد تبنت القضية الفلسطينية وتحرير فلسطين منذ لحظة انتصارها على نظام الشاه محمد رضا بهلوي وأنها بقيت على مدى الأعوام الماضية تعتبر هذه القضية أحد ثوابت سياساتها ومواقفها الخارجية وأنها تصرفت على هذا الأساس وفقاً لما يتلاءم مع هذا المنطق خلال كل هذه الأعوام، وأنها إذ اتخذت من منظمة التحرير موقفاً عدائياً فلأنها حادت عن طريق التحرير ولأنها انخرطت في المساومات والألاعيب السياسية على حساب تطلعات الشعب الفلسطيني وحقه في تحرير وطنه المقدس من البحر إلى النهر.

كان أول اتصال بين الإمام الخميني وبين حركة فتح في بداية سبعينيات القرن الماضي، كان يومها قائد وزعيم ومرشد الثورة الإسلامية في إيران التي لم تكن قد انطلقت بعد يقيم في النجف الأشرف بالعراق، ويقود المعارضة ضد نظام الشاه السابق من الخارج. حين ذهب إليه وفد فلسطيني كان على رأسه صبرى البنا «أبو نضال» الذي ما لبث بعد ذلك بنحو عامين أن انشق عن حركة «فتح» وأصبح بندقية للإيجار أجرها أولاً للعراق. ثم بعد ذلك سوريا ثم الجماهيرية الليبية إلى أن انتهى قتيلاً في بغداد عشية الغزو الأمريكي في عام ٢٠٠٣.

طلب الوفد الفلسطيني من الإمام الخميني إصدار فتوى بضرورة منح زكاة المسلمين وبخاصة الشيعة إلى حركة فتح وبعد جدل طويل أبدى خلاله مرشد الثورة الإسلامية والولي الفقيه ممانعة وتحفظاً، أصدر هذه الفتوى تحت إغراء أنها ستفيده في معركته المصيرية ضد نظام الشاه.

بعد ذلك بقيت الأمور تتحرك في حدود التحفظ المتبادل والتردد إلى أن انتقل الإمام الخميني إلى باريس وانفجرت الثورة الإسلامية وعاد بعد إقامة قصيرة في إحدى ضواحي باريس إلى طهران.. عندها تحرك ياسر عرفات الذي كان يواجه تدهوراً متصاعداً في علاقاته مع شيعة لبنان وبخاصة حركة «أمل» بسرعة وقام بزيارة تاريخية إلى إيران بعد انتصار ثورتها بأيام قليلة على رأس وفد كبير نقلته طائرة سورية من طراز Dio إلى مطار مهراباد الذي كان لا يزال تحت سيطرة فني سلاح جو الشاه السابق.

كان الإمام الخميني ينزل في مدرسة علوى في شمال طهران، ولقد أجرى الرئيس الفلسطيني الراحل الذي كان يرافقه أيضاً الرئيس الحالي محمود عباس: «أبو مازن» محادثات

مطولة مع قائد الثورة المنتصر الذى رفض استخدام اللغة العربية فى محادثاته تلك التى كان يتقنها أكثر كثيرا من ضيفه الشقيق ولقد ثبت لـ «أبو عمار» أن القضية الفلسطينية بعيدة عن ذهن زعيم وقائد ورائد إيران الجديد كل النبع، وأن كل ما يريده منها هو أن تشكل غطاء لتصدير ثورته إلى الدول العربية القريبة والبعيدة.

لقد حاول أبو عمار الذى كان بحاجة لصداقة زعيم الثورة الإيرانية والاقتراب منه لمواجهة شيعة لبنان، الذين بدأوا بعد أن أصبحت حركة «أمل» حركتهم السياسية ينقلبون عليه وعلى الثورة الفلسطينية، إقناع الخمينى بضرورة الانفتاح على العرب وضرورة مساندة قضية فلسطين- لكن هذا الأخير أصر على أن يفك ياسر عرفات علاقاته بالعرب والعروبة وأن يكون جزءا من الثورة الإسلامية، وهكذا وقع الاختلاف الذى تحول إلى خصومة شديدة بعد انحياز الفلسطينيين إلى العراق خلال سنوات الحرب العراقية الإيرانية.

بعد ذلك انشغل الإمام الخمينى بهذه الحرب وقد نسى فلسطين والقضية الفلسطينية. واضطر فى لحظة من لحظات اشتداد المعارك إلى إصدار فتوى بطريقة ملتوية تجيز قبول مساعدات عسكرية من إسرائيل ومن الولايات المتحدة فالضرورات تبيح المحظورات وكان الخوف من الهزيمة قد دفع الثورة الإسلامية وقائدها إلى الاستعانة بمن من المفترض أنهم أعداء وأنهم يحتلون فلسطين وثالث الحرمين الشريفين.

بعد توقف حرب الثمانية أعوام فى ٨ / ٨ / ١٩٨٨ بدأت إيران تنظر إلى الخارج مجددا وبدأت تستأنف عملية تصدير ثورتها إلى الدول العربية القريبة والبعيدة، وحقيقة أنها كانت قد حققت موطئ أقدام فى لبنان وفى العراق وفلسطين بعد انطلاقة حركة «حماس» التى كانت ولا تزال امتدادا لـ «الإخوان المسلمين» والتى لم يتمتن ارتباطها بطهران وبالولوى الفقيه إلا فى عام ١٩٩٥ بعد أن وجد الإيرانيون أنهم باتوا بحاجة إلى رأس جسر داخل حركة التحرير الفلسطينية فى أعقاب عدم دعوتهم إلى مؤتمر مدريد، ولقد سعت إيران إلى تحويل حماس إلى إحدى أذرع فيلق القدس وحراس الثورة وإلى تابع للولوى الفقيه مباشرة. لقد أصبح التبنى الإيرانى لحركة حماس أولا ومن بعدها منظمة الجهاد الإسلامى واضحا ومعلنا بعد عام ١٩٩٥. وذلك على ضوء الخشية من أن أى نجاح لمسيرة السلام سيؤدى إلى مزيد من العزلة الإيرانية، وسيشكل عائقا على طريق التحول إلى رقم رئيسى فى معادلة المنطقة.

وكان الهدف واضحا وبسيطا ويتمثل في العمل على تمزيق منظمة التحرير التي وقعت اتفاقية أوسلو. وإضعاف حركة فتح. وإصابة العمل من أجل استكمال مشوار السلام بالشلل. وفي نفس الوقت استهدفت إيران من وراء تشجيع وتبني حماس والجهاد ومطالبتها بتنفيذ عمليات انتحارية ضد أهداف اسرائيلية من أجل دفع اسرائيل للانذفاع باتجاه اليمين المتشدد تحت ضغط هذه العمليات. وبما يقود إلى تشدد اسرائيلي ومزيد من العقوبات على طريق السلام. لقد جرى كل هذا في سنوات سابقة ولقد حققت إيران كل ما سعت إليه اعتباراً من عام ١٩٩٥. وعندما فازت حماس في الانتخابات التشريعية لم تكتف بتشكيل حكومة فلسطينية. بل عمدت إلى الاستيلاء على السلطة في قطاع غزة عام ٢٠٠٧. وأنشأت إمارتها الإسلامية.

وتطورت الأمور في أعقاب عملية اختطاف الجندي الاسرائيلي جلعاد شاليط، وتنفيذ عمليات قصف صاروخي على أهداف اسرائيلية، إلى أن أقدمت إسرائيل على اجتياح قطاع غزة في ديسمبر ٢٠٠٨ يناير ٢٠٠٩. ورأى المسئولون الإيرانيون، أن «حماس» قد تمكنت من إسقاط عملية السلام. وعندما قامت بعد ذلك بانقلابها على السلطة الوطنية الذي قامت به.

ولا يمكن إنكار الدعم بالمال والسلاح وبالسياسة الذي قدمته إيران لحركة حماس ولبعض الفصائل الفلسطينية الأخرى، لكن مالا يمكن إنكاره أيضا أن الحرب بين اسرائيل والفلسطينيين قد كشفت النقاب عن أي أن هذا الدعم السخي لم يكن لا من أجل فلسطين ولا من أجل القضية، وإنما من أجل الدور الذي يسعى إليه الإيرانيون في هذه المنطقة، لقد كان بإمكان طهران لو أن هم القضية الفلسطينية هو مهما فعلا، أن تساند غزة المحاصرة بإطلاق ولو أعداد قليلة من صواريخها البعيدة المدى على دولة «العدو الصهيوني»، ولقد كان من المقترض لو أنه ليس لإيران حسابات أخرى غير حسابات فلسطين وقضيتها أن لا يُصدر السيد على خامنئي الفتوى التي أصدرها بمنع مواطنيه من التطوع للقتال إلى جانب الفلسطينيين. ومنع حزب الله من استخدام صواريخه لفتح جبهة قتال أخرى عبر الجنوب اللبناني لتخفيف الضغط الإسرائيلي على أبناء غزة.

#### ٤

الهجوم العنيف الذي شنه حسن نصر الله على مصر وعلى أنظمة عربية أخرى لم يسمها لكنها معروفة، يؤكد أن هناك مؤامرة تقف خلفها إيران ومعها حلفاؤها في معسكر الممانعة

والمقاومة وأنه لتنفيذ هذه المؤامرة تم استدراج الإسرائيليين الذين كانوا ينتظرون المبرر الذي يريدونه للقيام بما قاموا به خلال ديسمبر ٢٠٠٨ ويناير ٢٠٠٩ لذبح غزة من الوريد إلى الوريد واستهداف كل سكانها الذين يصل عددهم إلى نحو المليون ونصف المليون لحسابات انتخابية ولحسابات تلتقى مع حسابات الجمهورية الإسلامية.

لا خلاف على أن الإسرائيليين ولأسباب كثيرة بعضها يتعلق بأوضاعهم الداخلية وباستحقاقات الانتخابات المقبلة وبعضها الآخر يتعلق بواقع الشرق الأوسط وبما يمكن أن يعكسه مجيء الإدارة الأمريكية الجديدة على المنطقة كانوا يتحينون الفرص لاستهداف غزة بعدوان كهذا العدوان لكن ما لا خلاف عليه أيضا إلا بالنسبة للمناكفين وأصحاب الأجنداث الخاصة، هو أنه كان بالإمكان تفادي كل هذا الذي حصل أو على الأقل تأجيله.. لو أن «حماس» غلبت مصلحة شعبها على الحسابات الحزبية وعلى الولاءات الإقليمية التي تربطها بمعسكر الممانعة والمقاومة بقيادة وإشراف إيران وبمخططاته وتطلعاته.

لم تكن خطوة إنهاء «الهدنة» مع إسرائيل لا حصيفة ولا موفقة ولو أن «حماس» لم تكن تريد هذه الحرب وتسعى إليها وهي تظن أنها لن تكون بكل هذا المستوى من الإفراط بالعنف وبكل هذه الهمجية والدموية لكانت تحاشت الألاعيب الاستفزازية ولتجنبت إعطاء الإسرائيليين المبرر الذي كانوا يريدونه ولحرصت حرصا شديدا على إطالة أمد «التهدئة» التي كانت أعلنت وأكثر من مرة وعلى أسس كبار مسؤوليها أنها تريدها لعشرة أعوام وأكثر.

عندما يكون العدو بانتظار أن تعطيه المبرر الذي يريد للاقتضاض عليك. وعندما تكون موازين القوى غير متكافئة، فإن عليك أن تتصرف بحسابات دقيقة جدا، اللهم إلا إذا كنت تريد الانتحار لأي سبب من الأسباب، والحقيقة أنه لو رجعت الأيام القليلة التي سبقت هذه الحرب بمسؤولية وصدق وبعيدا عن الحسابات التي لا علاقة لها بالشعب الفلسطيني وقضيته، لجرى التأكد من أن «حماس» متورطة في مخطط إقليمي وأنها من أجل إنجاز هذا المخطط قد ضحت بغزة وبأهل غزة. وتعاملت مع «التهدئة» بالطريقة التي تعاملت بها معها وهي تعرف مسبقا أن الإسرائيليين كانوا ينتظرون المبرر الذي يريدونه للقيام بهذه الهجمة البربرية الغاشمة.

إن المفترض أنه بات معروفا بعد كل هذه التجارب المرة أن نظام الثورة الخمينية في إيران قد بدأ يسعى ومنذ لحظة انتصار ثورته إلى تصدير هذه الثورة إلى الدول المجاورة وإلى انتزاع

الشارع العربي من أيدي الأنظمة العربية التي اعتبرها خائنة وحليفة لـ «الشیطان الأكبر». وإنه لهذه الغاية أقام رؤوس جسور له تمثلت بعض امتداداته المذهبية في العراق وبحزب الله في لبنان وبحركة «حماس» في فلسطين وبحركة «الحوثي» في اليمن وبتشكيلات أصغر حجما وأقل تأثيرا في بعض دول الخليج وفي مصر والسودان والمغرب العربي.

كانت إيران تشعر أن العراق الواحد الموحد والقوى يشكل سدا أمام تطلعاتها لتصدير ثورتها في اتجاه الشرق الأوسط الذي ترى أنها الأحق بقيادته وأنها الرقم الأهم في معادلته ولذلك فإنها بادرت إلى التعاون مع الولايات المتحدة ومع الرئيس جورج بوش لاحتلاله وهي عاقدة العزم سلفا على تمزيقه وإغراقه في الفوضى وهذا هو ما حصل وتحقق وما فتح الطريق بعد كسر هذه الحلقة الرئيسية للانتقال إلى مصر التي تعرضت قبل حرب غزة وبعدها إلى حملة منظمة وإلى مظاهرات شوارع صاحبة كشفت دقة تنظيمها مدى التنسيق والتعاون بين الإخوان المسلمين بكل فروعهم بتنظيمهم العالمي وبين قيادة الولي الفقيه في طهران.

كان المخطط يقضى بأن يعطى استهداف مصر غطاء فلسطينيا وأن تلعب فيه حركة حماس موقع رأس الحربة ولذلك كانت هناك حملات معبر «رفح» المفتعلة وكانت هناك لعبة تحويل غزة وأهل غزة إلى وقود لهذا المخطط وكان هناك هجوم حسن نصر الله غير المسبوق على الرئيس المصري حسنى مبارك ونظامه. وكانت كل هذه المهاترات والشتائم التي استهدفت مصر ودولا عربية أخرى أكثر مما استهدفت إسرائيل وعدوانها وهجمتها البشعة.

كل هذا الصخب والصرخ الذى طفحت به شوارع العرب كان هدف الذين حركوه ووقفوا وراءه هو خدمة هذا المخطط الإيراني الذى بدأ بمصر لأنها تشكل الحلقة الرئيسية فى السلسلة العربية وهو زرع الفوضى فى هذه المنطقة كى تحقق إيران ما بقيت تسعى إليه. إن فى عهد محمد رضا شاه وإن منذ لحظة انتصار الثورة الخمينية وهو أن تصبح الرقم الرئيسى فى معادلة الشرق الأوسط وأن تستعيد أمجاد فارس القديمة.

إن هذه هى الحقيقة ولو أن «حماس» لم تكن متورطة بالفعل فى هذا المخطط فإنه كان عليها وقد أصبحت الحرب على الأبواب أن تقترب من مصر بدل أن تبتعد عنها وأن تصالحها بدل أن تعادىها وتخاصمها لكن هذا لم يحدث وللأسف مما يعنى أنه جرى تقديم غزة وأهل غزة كضحية على مذبح الأطماع الإيرانية فى المنطقة.

كانت تقديرات إيران ومعها كل حلفائها في معسكر الممانعة والمقاومة أن الفوضى ستعم مصر بمجرد أن يبدأ الهجوم الإسرائيلي على غزة وأن الدول العربية المعتدلة والمحافظة ستتمزق تحت ضغط مظاهرات الشوارع التي بعضها برىء وبعضها موجه وكانت تقديرات «حماس» أن الحرب ستكون مجرد معركة محدودة وأنه بمجرد توقفها ستخرج وهي ترفع أعلام النصر كما فعل حسن نصرالله في حرب يوليو ٢٠٠٦.. ولا يمكن تصديق أن الهجوم الإسرائيلي جاء مباغتاً لـ «حماس» فالحشود العسكرية الإسرائيلية كانت تجرى في وضح النهار وأهل غزة كانوا يتابعون هذه الحشود حتى بالعيون المجردة لكن الواضح أن تقديرات قادة هذه الحركة أنه لا يمكن أن تصل الأمور إلى الحرب الشاملة وعلى هذا النحو التدميري، وأن أقصى ما يمكن أن يحصل هو تحركات حدودية محدودة فتخرج هي منتصرة لتفعل ما فعله «حزب الله» وتفرض نفسها على الفلسطينيين وعلى العرب كأمر واقع وتحسن مواقعها التحالفية لدى أشقائها «العجم».

### إيران تستغل الفظائع في غزة للنيل من مصر

منذ أن وقعت حرب يوليو ٢٠٠٦ و«حماس» تدغدغها مشاعر أن تكون نسخة مكررة عن «حزب الله» في غزة.

وما لم يدر في خلد «حماس» أن «حزب الله» أخذ بلدا كاملا إلى الحرب غير عابئ بالنتائج، وهذا البلد رغم صغره إلا أنه غير قابح تحت الاحتلال الخارجي، ومناطقه المفتوحة على بعضها استقبلت الذين نزحوا من الجنوب ومن الضاحية، واختار الذين في البقاع الذهاب إلى سوريا، ومع ذلك قتل ما يزيد على ١٣٠٠ إنسان، وجرح الآلاف ولا يزال اقتصاده يعاني ولا تزال الأكثرية والمعارضة تتصارعان على من يقوم بالترميم، وأين أصبحت الأموال الطاهرة وتلك غير الطاهرة، لكنها تبقى أموالا والكل يطالب بها.

قال رئيس الحكومة الفلسطينية المقالة إسماعيل هنية في اليوم الأول للغارات الجوية الإسرائيلية على غزة في ديسمبر ٢٠٠٨ التي حصدت دفعة واحدة ٢٩٥ قتيلًا، «نحن لسنا طلاب حياة»، واندفعت كل الأحزاب الإسلامية المؤيدة لهذا التوجه إلى تأييده.

وفي الرابع عشر من ديسمبر قال رئيس حركة «حماس» خالد مشعل: «بعد ١٩ ديسمبر سنتهي التهيدة ولا تجديد لها. نحن سنتصرف وفق متطلبات الميدان للدفاع عن شعبنا»، والفظائع التي ترتكبها إسرائيل بحق أهالي غزة تكشف أن هذا الشعب مكشوف. لا حماية

له. وأن لغة الخطابات التهديدية التي يقذفنا بها زعماء الأحزاب الإسلامية، لا يسمعونها  
أحالي غزة المنكوبة، ولا تشكل مظلة واقية من الغارات الإسرائيلية.

وعندما بدأت الحملة على مصر. رفضت «حماس» السماح للحجاج الغزويين بالسفر إلى  
الحج على أساس أن معبر رفح مغلق. ثم رفضت المشاركة في الدعوة التي وجهتها مصر  
إلى الفصائل الفلسطينية، للسبب نفسه، اعتقدت «حماس» بأنها تستطيع أن تحرج مصر  
وتضغط عليها، وكل ذلك جاء بتوجيه من إيران. تريد إيران أن تصبح مصر بالنسبة لـ  
«حماس» مثل سوريا بالنسبة لـ «حزب الله» في لبنان. أى أن تكون ممرا للسلاح الإيراني،  
وللصواريخ وأيضا للنفوذ الإيراني فتصبح بذلك إيران قادرة على تطويق الدول العربية كلها  
وتهديدها عبر قوتين عسكريتين في المنطقة، «حماس» و«حزب الله». مصر التي خاضت  
حروبا مع إسرائيل من أجل الفلسطينيين، تربطها معاهدة سلام مع إسرائيل وليست في  
حاجة لرؤية غزة مركزا للإرهاب تهدد به إسرائيل.

عندما كانت حماس في المعارضة كانت تنتقد «فتح». لكن منذ عام ٢٠٠٥ بعد الانسحاب  
الإسرائيلي، هي المسئولة الفعلية عن غزة التي غرقت في مستنقع من الأزمات أدى إلى  
بدء فقدان «حماس» لشعبيتها. وعجزت «حماس» عن أن تحقق خرقا لصالحها في الضفة  
الغربية حيث السيطرة لـ «فتح».

وشعرت إذا ما جددت اتفاقية التهدئة مع إسرائيل وظلت مسئولة عن غزة بأوضاعها  
المزرية، فإن خسائرها ستتضاعف وكان «قرارها الاستراتيجي» بأن تعود قوة مواجهة مع  
إسرائيل بمضاعفة إطلاق الصواريخ وإظهار أن «فتح» تتعاون مع الإسرائيليين.  
من وجهة نظر «حماس» وبسبب فشلها في توفير أقل وأبسط مستلزمات الحياة للذين  
غامروا وصدقوا وانتخبوا، رأت أنه من الضروري وقف التهدئة قبل الانتخابات الرئاسية  
الفلسطينية، فحتى لو ردت إسرائيل فإن ردها حسب حسابات «حماس» لن يكسر قدرات  
الحركة، وسيدفع الناس للتفاف حولها وإعادة انتخابها.. وهي تطلق الصواريخ على  
إسرائيل. أرفقت ذلك بالادعاء بأن مصر أعطت الضوء الأخضر للجيش الإسرائيلي لعملية  
محدودة ضد غزة لقلب حكومة «حماس».

إيران خططت للحملة على مصر التي أحبطت كل المخططات الإيرانية لتحويلها إلى ممر  
للأسلحة والنفوذ الإيرانيين إلى غزة. وبدأت المظاهرات ضد مصر في طهران التي أعطت  
الإشارة لـ «حماس» في دمشق ولبنان وغزة للقيام بمظاهرات مماثلة تندد بمصر التي لا تفتح  
معبر رفح، مع العلم أنه رغم الانسحاب الإسرائيلي من غزة. يبقى القطاع تحت الاحتلال

وتبقى حدوده مرهونة بالأوامر الإسرائيلية والدولية. وقد رفضت «حماس» الاعتراف بكل الاتفاقات الدولية.

ولاحظ الجميع شراسة تلك الحملة، ففي الثلاثين من نوفمبر ٢٠٠٨ سارت مظاهرة أمام وزارة الخارجية الإيرانية في طهران شارك فيها طلاب الجامعات وطلبوا من منظمة المؤتمر الإسلامي إدراج بند «إعدام الخائن مبارك» في برنامج عملها.

وفي الثامن من ديسمبر ٢٠٠٨ سارت مظاهرة أخرى أمام مكتب المصالح المصرية في طهران دعا فيها الطلاب الإيرانيون إلى «إعدام الفرعون مبارك» ودعوا «الإخوان المسلمين» والطلاب في مصر ليتحدوا ويفتحوا معبر رفح، ثم رموا بالقنابل الحارقة على المكتب ورفعوا صورا من عملية اغتيال السادات عليها عبارة: «هذا عقاب المفوضين» و«كلنا خالد إسلامبولي». وقال المتظاهرون إن مصر في ظل مبارك متواطئة مع جرائم إسرائيل ورددوا هتافات «الموت لمبارك»، «العار لمبارك»، «الإعدام الثوري لكل مساوم». «اعدموا حسنى مبارك»، «صمت كل المسلمين خيانة للقرآن»، «الحسن، الحسين شعارنا والشهادة فخرنا». وأثنى لاحقا جواد كريمى قدوسى عضو مجلس الأمن القومى ولجنة العلاقات الخارجية على دعوة الطلاب. وخطب فيهم حمد محمدى الناطق باسم مقر «منظمة العالم الإسلامى لإحياء ذكرى الشهداء» المؤسسة التى أنتجت فيلم «اغتيال فرعون» الذى وتر العلاقات أكثر بين مصر وإيران قال: «إن مبارك أسوأ الأشرار فى زمننا، لمدة ٢٧ سنة، يحكم وحش اسمه مبارك مصر (...). كيف يمكن تسميته مسلما، هو يمنع المسلمين من اتباع طريق الله، إن عقوبته الموت. لو كان مبارك حاضرا الآن هنا، فإن هؤلاء المتظاهرين ما كانوا ترددوا لحظة واعدموه فوراً».

وأضاف: «نرفض الشر بكل أشكاله. إن مبارك هو رأس النظام الصهيونى. والطريقة لتحرير المسلمين من النظام الصهيونى الجائر ومن خدامه. لا تكون عبر أروقة الأمم المتحدة. أو مقاعد مجلس الأمن أو البرلمانات العربية أو المؤتمرات الخادعة. الطريقة الوحيدة لفعل ذلك تكون بشاحنات محملة بالمتفجرات يقودها أشخاص مثل شهداء «حزب الله».

وفى أوائل ديسمبر اتهمت الصحف الإيرانية ومنها «كيهان» و«جمهورية إسلامى» النظام المصرى بالخيانة، ودعت الشعب المصرى لقلبه. رئيس تحرير «كيهان» حسين شريعتمدارى المقرب من خامنئى، كتب فى الثانى من ديسمبر «نشر وتناغم لغياب الشهيد

خاند إسلامبولي، يجب أن يتمثل به كثيرون، لو ثار الشعب المصري ضد نظامه، ما تجرأ أحد على الوقوف ضده». واستشهد شريعتمداري باستفتاء أجرته فضائية «الجزيرة» وقال: كشفت «الجزيرة» أن ٥٩ ٪ من المشاهدين رأوا أن رأس النظام المصري حسنى مبارك يتحمل المسئولية الأكبر عن مأساة غزة. لكن هل فقد المسلمون، لاسيما الذين في مصر، شرفهم ومشاعرهم الإنسانية؟ أنه لأمر غير معقول. إن الشعب المصري المتحضر لم يرفع اصبعاً يعترض على إغلاق معبر رفح أو يحتج على الكارثة الإنسانية التي تحدث في غزة، لو ثار الشعب المصري ضد نظامه لما اعترضه أحد، عليه أن يتعلم من الشعوب في إيران ولبنان وفلسطين التي وقفت وقاومت. إن غضب المسلمين سيصل آجلاً أم عاجلاً ليقطع رؤوس بعض الحكام العرب».

وفي الثاني من ديسمبر ٢٠٠٨ كتبت صحيفة «جمهورية إسلامي»: «إن العالم العربي والإسلامي يكون أفضل من دون حكامه الخائنين (... ..) لو يستطيع العرب التعبير عن أمنياتهم الدفينة لأظهروا للأعداء والأصدقاء أنهم قادرون على التخلص من الخونة». وفي السابع من نفس الشهر وصفت الصحيفة الرئيس المصري بـ «الديكتاتور» و«الفرعون» وقالت: «لا قيمة لمبارك عند الشعب المصري. هو في الكرسي بدعم أمريكي، إن الحكومات الطاغية عقبة في وجه المبادئ والقيم».

وتعمل إيران بقوة لكسب «ورقة غزة» وذلك عبر حملات شرسة ومدروسة ضد مصر، بعد أن دمرت أمريكا العراق. أخذت إيران على عاتقها تدمير بقية الدول العربية الأخرى من أجل نشر نفوذها ولا يكلفها ذلك إلا المزايدة والحملات الإعلامية والاعتماد على من تمولهم واشترت ولاءهم، لكن الأوراق صارت مفضوحة، وكما تتصرف الأحزاب الدينية وكأنها أعلى من الدول، كذلك أصدر خامنئي فتوى إلى كل المسلمين في العالم «يأمرهم» فيها بالدفاع عن غزة «بأى طريقة ممكنة» وقال: «كل من يقتل وهو يدافع عن الفلسطينيين يعتبر شهيداً».

## ١٤ جارا لإيران

لا يشبه روسيا في الجغرافيا الآسيوية سوى إيران، فهي دولة لها نحو ١٤ جارا ومن أهم هذه الدول العراق وتركيا وأذربيجان وتركمانستان وأفغانستان وباكستان، أما الدول التي تشاركها في شواطئ بحر قزوين فمنها روسيا وكازاخستان وأذربيجان وتركمانستان،

وكل جوار عالم، وكل جوار مدخل ومخرج سياسى فى وقت واحد، وكل جوار باب مفتوح أو مغلق. وكل باب له مسئولياته وحساباته الاستراتيجية والداخلية وأحيانا الدينية، وإيران تريد من كل جوار أن ينسق معها أو أن يتفهمها حيال الجوار الآخر. ومنذ قيام الثورة ثم منذ انهيار الاتحاد السوفيتى وهى تتصرف على أنها دولة ذات مخاوف وهواجس وليست فقط ذات طموحات. وقد أراح انهيار الاتحاد السوفيتى عن كاهلها ثقل هذا الجوار المزعج بكل قدرته على الضغط والتدخل الفج.

ومن الاطمئنان إلى القلق فى الحالة الأفغانية إلى الدور الاستراتيجى فى الحالة اللبنانية إلى الطموحات فى العلاقة الروسية، تبدو إيران وكأنها فى تحرك متعدد الاتجاهات والأبعاد، ضمن دائرة واسعة متعددة الدوائر، وفى قلب هذه الدائرة تقبع الولايات المتحدة والهواجس المتبادلة بين واشنطن وطهران. فهناك خوف أمريكى من دور طهران السياسى أو العسكرى فى أكثر من مكان، وهناك شعور إیرانى بأن الثورة محاصرة بالرقابة الأمريكية فى كل مكان، والعاصمة الإيرانية منقسمة حول الموضوع الأمريكى «بصرف النظر عن نسب التأييد والعداء». وتتضارب أحيانا الإشارات السياسية الخارجية من العاصمة الإيرانية ويزداد غموض الوضع السياسى المتجاذب فيها، وليس معروفًا مدى علاقة هذا الاختلاف الداخلى بالسياسة الخارجية.

فاللباب الإیرانى الأساسى مغلق مع أمريكا مادامت لم تعتذر عن تأييدها للسافاك أيام الشاه، والولايات المتحدة لا تستطيع أن تفتح على نفسها بابا مجهول النهايات، فهو يعنى أنها ستعتذر عن تأييد المخابرات الفيتنامية أيام نجو دنيه ديم. وهكذا تزداد دوامة اللعلاقة الإيرانية الأمريكية اتساعا، ويحاول كل فريق استباق الآخر والالتفاف عليه. وقد رأت إيران فى روسيا حليفا مفترضا أو بالأحرى رأت فيها الحليف الوحيد المقترض. فالتكال على الصين صعب لأسباب كثيرة ومختلفة، فهى أولا لا تزال متخلفة عن الروس فى عالم السلاح، وهى تعتمد على التقنيات الإسرائيلية إلى حد بعيد، إضافة إلى أن العلاقة مع تل أبيب شبه خاصة، وفى المقابل فإن بكين تقيم أيضا علاقة تعاون واضحة مع العراق من خلال مثلث حربي، ولذا تحاشت إدارة بوش أن تقصف الرادار الذى اشتراه العراق من سلوبودان ميلوسيفتش إلا فى يوم عطلة الخبراء الصينيين الذين يشغلونه وذلك خلال غزو العراق عام ٢٠٠٣.

ورأى الروس أيضا في التحالف مع إيران فرصة ذهبية، فالعلاقة مع طهران وبغداد برغم اختلاف الائتلتين فيما بينهما، تشكل إطلالة واقترابا من مياه الخليج الدافئة. ولذلك أرسلت روسيا إلى دول المنطقة نائب وزير الخارجية ومعه اقتراح رسمى بتشكيل «منظومة» تضم أيضا العراق وإيران مقابل انسحاب القوات الأجنبية. لكن دول الخليج رفضت الاقتراح ورأت فيه وسيلة لحماية النظام العراقى، وأبلغ الكويتيون الدبلوماسى الروسى أنه فى ضوء المعطيات الحالية لا تستطيع الكويت أن تعرض نفسها وأبناءها لأى هزة كيانية أخرى.

غير أن العلاقة الإيرانية الروسية مستمرة على أى حال، فطهران تعرف أنه مهما تحسنت علاقاتها مع أوروبا فإن أوروبا تظل مرتبطة بالتزاماتها الغربية مع الولايات المتحدة، وهكذا يبقى الجار الروسى هو البديل الأقرب والأضمن خصوصا بعد تخليه عن الشيوعية، وتلتقى مصلحتا الدولتين فى نقاط كثيرة، من أفغانستان إلى الهند. بل حتى حياى تركيا. لكنهما تتصادمان فى العراق، حيث تبدو الأشياء صعبة ومعقدة حتى الآن.

### التعاون السودانى الإيرانى

بزيارة الرئيس الإيرانى الأسبق هاشمى رافسنجانى للسودان على رأس وفد أكبر من المؤلف عام ١٩٩٣ تكرر تعاون استراتيجى واسع النطاق بين البلدين.

وكان النظام الثورى الإيرانى يخطط لاستخدام السودان نظام البشير الترابى الذى يرفع راية الإسلام كقاعدة للتأثير فى النطاق الإفريقى قفزا من فوق أسوار دول المشرق العربى التى وقفت ضد كل محاولات تصدير مبادئ الثورة الإيرانية. ولم يكن غائبا عن ذهن المخطط الإيرانى التفكير فى استخدام الجماعات والمنظمات الإسلامية فى منطقة الشمال والوسط والمشرق الأفريقى لتحقيق أهدافه وأهداف السودان.

وكان مشروع الترابى لإنشاء إمبراطورية إسلامية لن يتحقق فى تصور، إلا عبر انهيار سياسى أو انقلاب يودى إلى صعود القوى الإسلامية فى هذه الدول إلى السلطة.

وهذه العلاقة الإيرانية السودانية كانت خطوة على طريق إخراج السودان من عزلته التى وصل إليها عبر محطات الصدام مع الجيران وتصادم المصالح ومحاولات زعزعة الاستقرار بهذه الدول، بالإضافة إلى مساندة النظام العراقى خلال غزوه للكويت.

وهذه السياسة التى كان من وسائلها دعم المنظمات والجماعات الإرهابية بالمنطقة، وضعته فى مواجهة الولايات المتحدة وأوروبا، مما ضاعف من العزلة المفروضة عليه.

ولكى يتمكن السودان من الصعود فى مواجهة هذه العزلة وأمتلاك القدرة على الحركة كان بحاجة إلى البترول والمعونات المالية والخبرات الفنية والأهم للسلاح.

وتعهدت إيران بتوفير نسبة من هذه الاحتياجات . وتدفقت كميات لا بأس بها من الأسلحة والذخيرة والأجهزة الحديثة وصاحب وصولها ، وصول عدد من الخبراء والمستشارين العسكريين من الحرس الثورى الإيراني ، وانضم هؤلاء إلى الخبراء فى المجالات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية.

وكان أهم ما تضمنه اتفاق الطرفين ، منح تسهيلات بحرية لإيران فى ميناء بورسودان ، وبذلك ضمنت إيران نقطة ارتكاز رئيسية لقواتها البحرية فى هذه المنطقة الملتهبة من العالم.

هذه النقطة فى ميزان القوى دفعت إيران من أجلها ١٤ مليون دولار سنويا ، وبعد نجاح البشير فى إزاحة الترابى بدأ هذا التعاون فى الاهتزاز . وإن ظل لإيران مكانها ومكانتها فى الفضاء السياسى السودانى.

## الإخوان .. وإيران

سجد الإخوان المسلمون عام ١٩٩٠ لدنانير صدام حسين وعطاياه وتحالفوا معه وانكفأوا على وجوههم . وزحفوا على بطونهم ، ورهنوا ما تبقى عندهم من حياء عند النحاس العراقى . قبل أن يعلنوا تأييدهم ومناصرتهم لغزو جيوش صدام للكوييت .

لقد اختاروا بوعى وبارادة ووفقا لحسابات سياسية واقتصادية ودينية !! مساندة الاحتلال والغزو والقهر والتسلط والبغى والعدوان . وأداروا ظهورهم للاستقلال والسيادة والإنصاف والحرية . واختصارا قادم قصر النظر والطمع فيما سيعود عليهم من جراء انتصار صدام إلى ركوب حمار المصلحة الخاصة الأعرج ، والتنكر لمنطق المصلحة العامة ولكل القيم النبيلة والمبادئ والأخلاق .

ومن قلب المحنة وهوان الاحتلال وقسوته ، اختار إخوان الكوييت أن يكونوا مع وطنهم ، ورفضوا موقف الإخوان واتهموه بالانتهازية . وخاضوا معركة مزدوجة الأولى ضد قوات الاحتلال والثانية فكرية وعقيدية ضد جموع الإخوان المسلمين . وبهذا الاختيار أنقذ إخوان الكوييت شرفهم وتاريخهم والآن ، وبعد أن أعلنت إيران الحرب على مصر واستهدفتها ، وأطلقت القوى المتحالفة مثل سوريا والأدوات مثل حزب الله وحماس للعمل ضد سيادتها

وأمنها القومي، اختار الإخوان المسلمون الوقوف مع إيران والمشاركة في العمل ضد مصر الوطن والمواطنين.

وبعد ما يقرب من ٣٠ عاما على غزو الكويت، لم يستفد الإخوان من درس إخوان الكويت، ولم يحاولوا مجرد محاولة أن يكونوا مع مصر وهي تتعرض لهجمة إيرانية، رأس الحربة فيها هذه المرة حزب الله، حتى وبعد أن اعترف رئيسه بالمؤامرة، أصروا على ما هم فيه من غي وعدم انتماء. وهاجموا موقف مصر وما اتخذته السلطة من إجراءات. ومرة أخرى يتأكد أهل المحروسة أن ما قاله المرشد العام السابق من قبل وأعنى «ظف في مصر» لم يكن زلة لسان، بل هو نهج فكري وعملي، وما هم يطبقونه بكل طاقتهم، بل إن هناك من عناصرهم من عمل وشارك في نشاط المجموعة الإرهابية التي شكلها حزب الله في مصر.

والإخوان المسلمون يعلمون أن إيران سبق أن دربت مجموعات اغتيال. لاغتيال رئيس مصر وعدد من كبار المسئولين بها، وأن خلية حزب الله التي بدأت نشاطها منذ سنوات كانت تخطط لعمليات إرهابية واسعة النطاق. بالإضافة إلى عمليات تهريب السلاح، كما يعلمون أن إيران وسوريا وقطر واليمن وحزب الله وحماس قد نظمت مظاهرات مضادة لمصر مع ذلك اختاروا أن يكونوا مع إيران.

### درس من إيران والسودان

عندما ساندت الولايات المتحدة ثورة الخميني، وقدمت له الدعم للإطاحة بنظام الشاه بالتعاون مع فرنسا كانت على بيته من أنه سيقوم نظاما إسلاميا، وأنه بالضرورة سيصطدم بها لتناقض الأهداف والمصالح.

ولم تكن تلك السياسة إلا تعبيرا عن مخطط للقبول بنظم إسلامية في عدد من الدول تمهيدا لجعلها أمثلة وعبرة حتى لا يفكر أحد في تكرار هذه التجربة مستقبلا.

والنظام السياسي الإسلامي في إيران أو غيرها حتى ولو كان يملك ثروات طبيعية كالمياه والبتروول. سيعجز عن تلبية تطلعات الناس للحرية والمساواة والعدل والخبز، وبالتالي فإن الصدام بينه وبينهم حتمي. وموئل بجدارة للانعزال داخليا وبما أن الثورة تعمل دائما لنشر مبادئها. فإن النتيجة هي الاصطدام بدول الجوار وبمحيطها الإقليمي وبصورة تساعد على عزلها خارجيا.

وبما أن إيران وغيرها من الدول الإسلامية المؤهلة لتبني نظم حكم إسلامية لا تنتج سلاحها وتضطر للاعتماد على الخارج لاستيراده. ولا تنتج ما يكفى من القمح لإطعام مواطنيها. فستظل عرضة لضغوط الدول المصدرة وفي مقدمتها الولايات المتحدة. ولكى تحصل على احتياجاتها وتبيع بترولها. فإنها دائما فى حاجة إلى الآخرين. وهذه نقطة ضعف رئيسية.

أما الديكتاتورية والقهر والفساد الذى يصاحب الثورات وعدم احترام حقوق الإنسان فسيحرم الثورة والثوار من التعاطف ويساعد على عزلتها.

وبعد مرور هذه العقود ما هى الثورة الإيرانية معزولة ومحاصرة داخليا وخارجيا. ولا يختلف الأمر مع نظام الحكم الإسلامى فى السودان، فمنذ بدأ نظام الترابى. البشير عام ١٩٨٩. كان الحلم إقامة إمبراطورية إسلامية.

والآن فإن الوضع يدعو للرتاء لما آلت إليه الأوضاع فى السودان بعد أن فشل المشروع فى إنجاز أى من أهدافه. وتحول للتعاون مع الولايات المتحدة والدول الغربية للإفلات من الحصار والعقاب.

ولا يمكن اتهام الآخرين بالتآمر لتحويل هذه النظم إلى أمثولة. فذلك لم يكن خافيا منذ البداية. وكان السؤال. ماذا فعلت هذه النظم لتجنب مثل هذا المصير؟ لقد كان أهم ما تملكه هو الأمانى والأوهام والشعارات. أما على أرض الواقع فلم يكن هناك سوى القهر والتسلط والفساد والأهم العجز عن فهم الواقع ومعطياته.

### أحمدى نجاد.. والمسئول العربى

لو أن ملكا أو رئيسا عربيا حاول بكل مودة واحترام أن يسأل نظيرا عربيا عن أسباب وجود قواعد أمريكية فى بلاده، فهل سيتسع الصدر لسماع السؤال، ولو اتسع هل سيتسع الأفق ورحابة الصدر للإجابة عنه؟

ومن قراءة دفتر العلاقات العربية العربية طوال العقود الماضية. لا يستطيع أى مراقب أن يضع ردا إيجابياً، فالحساسيات وتعاطم الإحساس بالذات، وفخامة الكبرياء حالت وتحول دون اتساع الصدور. هذا من جانب، ومن جانب آخر فإن اللياقة والفضة والذكاء ومراعاة المشاعر والإدراك العميق أن لكل دولة سياساتها واستراتيجياتها وظروفها تمنع أى طرف عربى من طرح مثل هذه الأسئلة.

لماذا أ طرح مثل هذا الافتراض الآن؟

والإجابة ببساطة: أن الرئيس الإيراني محمود أحمدى نجاد، سأل أميرا عربيا عن القواعد الأمريكية الموجودة فى بلاده، وبكل الاستعلاء والغطرسة واللياقة المتفقدة. استطرد قائلاً بعد أن استمع للإجابة المراوغة من المسئول العربى، بلهجة جافة وحادة، إنه إذا ما بدأت الحرب الأمريكية ضد إيران، فإن أول صاروخ إیرانى سيجرى إطلاقه سيكون باتجاه هذه القواعد الموجودة فى بلده، أى فى بلد هذا الأمير العربى، وقال أيضا إن البلد كله سيدفع ثمن وجود هذه القواعد الأمريكية، ولم تشر الصحف التى نشرت ما جرى من حوار أو من تهديد سافر وغليظ إلى أى استنكار علنى، أو أى رد حتى ولو على استحياء من جانب الأمير العربى على مضيغه، المهم أن المسئول العربى، قيل من الرئيس الإیرانى وهو فى ضيافته، مالا يمكن أن يقبله من أى شقيق عربى!

وإذا كان الرئيس الإیرانى يتحدث بمثل هذه اللهجة وهذا الأسلوب مع مسئول عربى كبير، وبلاده لم تنجز حتى الآن فى المجال النووى، سوى تخصيص اليورانيوم بنسبة متدنية، فماذا يمكن أن يفعل مع مثل هذا المسئول وغيره من أهل هذه المنطقة المظلة على الخليج إذا ما امتلك سلاحا نوويا؟

بل وماذا سوف يفعل مع باقى دول المنطقة إذا ما أصبحت إيران قوة إقليمية عظمى وبدأت تسعى إلى توسيع دائرة نفوذها؟

## خيار المنفى

ثمة حكاية قديمة قدم المجتمعات الإنسانية ملخصها أن يختار الإنسان المنفى بأمل العودة ظافرا إلى الوطن، وفى العديد من المجتمعات تبلغ الأمور حدا تصبح الحياة معه لا تطاق بالنسبة للبعض، ويصبح الخيار واحدا من اثنين الصراع أو المغادرة. فى بعض الحالات يصبح الصراع إما مستحيلا أو أنه يؤدي إلى موت سريع، وتنتهى الحكاية، كما أن البشر ليسوا كلهم مستعدين للبطولة أو الشهادة، معظم الناس يريدون حياة كريمة واعتيادية؛ وغالبية البشر ليسوا مستعدين لقتل النفس باسم الغاية السياسية والهدف. بهذا يصبح المنفى السبيل الوحيد لمن يحسون بالاختناق تحت وطأة نظام لا يطيقونه. وليس الذهاب إلى المنفى خيارا مقتصرًا على مواطنى أنظمة قاسية مثل جنوب أفريقيا أيام نظام الفصل العنصرى؛ الأبارتايد؛ أو العراق فى ظل صدام حسين، بل يشمل بشرا

آخرين. ففي العشرينيات من القرن الماضي قررت النخبة اللامعة الأمريكية أن ترحل إلى باريس، واختارت فندق «ريتز» مقرا لها، كان هؤلاء المنفيون طوعا واختيارا يعتبرون الحياة الثقافية في الولايات المتحدة محدودة جدا وينظرون إلى الجمهور الأمريكي على أنه بسيط وسطحى.

وعندما فاز فرانسوا ميتران برئاسة فرنسا للمرة الأولى، راجع العشرات من رجال فرنسا ونسائها، بهدوء سفارتي بريطانيا والولايات المتحدة طالبين تأشيرات دخول وإقامة فى البلدين، مقررين العيش فى المنفى. كانوا يعتقدون أن ميتران وجماعته الاشتراكية سيحيلون فرنسا إلى ديكتاتورية على الطراز السوفيتى.

وفى العديد من دول العالم الثالث يكاد يستحيل العيش والتمتع بالحد الأدنى من الحرية. الحياة فى إيران اليوم، على سبيل المثال. مستحيلة لكل من يجد فى نظام «ولاية الفقيه» تجاوزا وسخفا، بموجب ذلك النظام، هناك ملا اختاره ملاي آخرون، يعتبر «الفقيه السولى» بهذا يصبح قائما على الأمة وكأن الإيرانيين أطفال أو نزلء مصح عقلى يتوجب شكرهم.

للفقيه الولى أن يعلق العمل بالدستور وأن يطرد الرئيس المنتخب ويحل البرلمان المنتخب والأسوأ من هذا. له حق تعطيل حدود الإسلام وشرائعه الأساسية.

هذه ليست ديكتاتورية عادية. لأنها تريد أيضا التغلغل فى النفس والتدخل فى المعتقد والممارسة.

فى عام ١٩٨٠ قال آية الله الخمينى المعروف بصراحته، إن على الذين لا يقبلون النظام أن يختاروا ما بين:

١ - أن يخرسوا أبدا بموجب «التقية».

٢ - مغادرة البلاد.

٣ - المجاهرة برأيهم وتلقى الإعدام.

اختارت الأغلبية الكبرى الخيار الأول طبعاً. واختار حوالى ٣ ملايين إيراني الأمر الثانى، وتم بالفعل إعدام الآلاف الذين مارسوا الخيار الثالث.

بالنسبة للذين يعيشون فى المنفى تطرح قضية مقارعة النظام فى الوطن أم عدمها بشكل جدى عاجل.

لهم طبعاً خيار أن يتناسوا الوطن كما يحاول المرء نسيان الكوابيس.

وقد فعلت ذلك الملايين من البشر عبر العصور. فالذين فروا من البطش الدينى والسياسى وهاجروا إلى الأمريكتين وأستراليا لم يفكروا فى العودة أبداً.  
وتضم كل أمة أحفاد الذين هاجروا فارين من أنظمة طاغية.  
لكن بعض المنفيين يقررون مقارعة الطغيان فى الوطن. فتفرض الحياة على هؤلاء إجابة أسئلة صعبة، كيف يتسنى للمرء أن يقارع نظاما كريها دون أن يؤذى أهله وشعبه؟ كيف يمكن له أن يصبح خصما فى المنفى لنظام بلاده دون أن يتلاعب به أعداء بلاده؟ ما هى المعارضة فى الخارج التى تسيرها العواطف الشريفة غير الأنانية وأى منها تسيرها الطموحات الشخصية؟

### إيران والفيلم

تطلعت إيران دائما للقيام بدور القوة الإقليمية العظمى. أى القوة صاحبة النفوذ والكنمة فى المنطقة. وأمام الرفض الإقليمى والدولى سعت للتحويل إلى دولة نووية لحماية الوجود والوصول للهدف.

وممارسة هذا الدور ستكون على حساب المحيط السنى خاصة مصر والسعودية. فلجأت إلى تبنى سياسات هدفها تقويض الوجود السنى وإصابة القوتين السنيتين بالمنطقة بالشروخ لإضعافهما. وطوال السنوات الماضية خاصة بعد إسقاط نظام صدام حسين حقق المشروع الإيرانى نجاحا مرموقا. فقد وضع الملالي قدما فى العراق وأخرى فى لبنان وثالثة فى فلسطين ووجدوا مئات الأدوات ومنها كتاب وعدد من الساسة والوجوه التليفزيونية للدفاع والتبرير والتسويق لكل ما تقوم به طهران. وما أيسر ثمن كل هؤلاء.

والآن وفى ظل المناورات المستمرة حول المشروع النووى هناك ثلاثة احتمالات:

- الأول: أن تتمكن إيران من استكمال مشروعها. وهكذا تكون قد بلغت الهدف.
- الثانى: إتمام صفقة كبرى تمنح فيها أمريكا وباقى القوى الدولية إيران دورا إقليميا على حساب القوى الموجودة بالمنطقة مقابل وقف المشروع النووى. وهنا أيضا تكون إيران قد تمكنت من الحصول على الدور الذى سعت إليه.
- الثالث: مواجهة عملية عسكرية، وهنا على العالم أن يواجه ما يمكن أن يترتب على ذلك من آثار ولكن إيران ستكون قد خسرت الرهان تماما.

ولأن إيران تملك الموارد والطموح والإرادة والأدوات فإنها تناور على المسرح العالمى. وتعمل على كسر وحصار المحيط السنى وإضعافه. وما الفيلم الإيرانى عن مصرع السادات سوى

خطوة على هذا الطريق ، فالفيلم يستهدف النيل من السنة واتهام أبرز قادة مصر بالخيانة وتصوير السلام مع إسرائيل وكأنه كارثة تلحق بالمنطقة ومشروع المقاومة والممانعة. والفيلم على هذه الصورة يعنى أن إيران تهاجم العالم السننى بضراوة وشراسة بالغتين. والاكتفاء هنا بموقف الدفاع وإبراز الدور الوطنى الكبير للرئيس للسادات لا يمكن أن يحقق الكثير.

فمن الواضح أن الفيلم استهدف المشاهد فى الشارعين العربى والإسلامى لا المصرى فقط. وهنا ليس هناك أمام مصر سوى الهجوم وكشف أهداف إيران وطموحات الملالي وعلاقاتهم المستمرة والخفية بإسرائيل التى انكشفت بفضح ما عرف بالكونترا جيت. وفتوى الخمينى بالحصول على الأسلحة والذخائر والمعدات من اسرائيل وفقا لمنطق الضرورة، خلال سنوات الحرب مع العراق ١٩٨٠ - ١٩٨٨.

وهناك فى مصر من الإمكانيات ما يكفى لبدء هجوم قوى وشامل على إيران وقادتها وأهدافها وفيلمها أو أفلامها المشينة.

